

البرهان على صحة التليد



قصة شعرية

شعر

أحمد نور الدين

إبراهيم الخليل

(قصة شعرية)

تأليف

أحمد نور الدين

الغلاف بريشة الفنان
نبيل نور الدين
اللوحات الداخلية بريشة الفنان
طه القرني

الطبعة الأولى
حقوق الطبع للمؤلف

الإهداء

| | |
|--------------------|-------------------------|
| إلى ينبوع إلهامى | وعطر حديقتى الغناء |
| إلى مشكاة أيامى | أنا والبيت والأبناء |
| إلى عصفورتي الأولى | إلى رأس الرجاء « دعاء » |
| إلى من وثقت سعدى | إلى قمرىتى « نجلاء » |
| إليك « محمد » ولدى | حبيبى .. أفضل الأسماء |
| إلى محبوبتى الصغرى | إلى مسك الختام « نداء » |
| أقدم خير ماعندى | أقدم أخلد الآلاء |
| أقدم خير ميراث | ولا يأتى عليه فناء |
| وأرجو أن يكون لكم | ولى ذُخْراً بدار بقاء |

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الإيمان نبع يتدفق بأصدق المعاني وأرق المشاعر .
وقد اتجه الشاعر الموهوب العقيد أحمد نور الدين إلى روافد
الإيمان في قلبه ، ليمتاح منها أعذب العواطف وأرق
الأحاسيس .

وكان القرآن الكريم رافده الأول إذ رأى في قصصه
الصداقة مصدر وحي خالص ، لأنها تحمل من معاني
الفداء والتضحية ونبل الرسالة الإنسانية ما يجب أن يشيع
بين الناس ، بلسان شاعر صادق الحسّ رقيق الخيال .

لذلك كتب قصته الشعرية عن يوسف الصديق
لترسم حياة هذا النبي الفاضل الذي سما بمشاعره النبيلة
عن سقطات الضعف البشري في أخرج المواقف وأشدها
انجذاباً إلى دوافع الهبوط . فجاء بأبيات رائعة تدفع قارئها

الطامح إلى المثل الأعلى الرفيع .

أما قصة إبراهيم الخليل فهي خطوة تالية لقصة يوسف الصديق سلمت مواقفها وتأكدت أهدافها ، وتتابع أحداثها في رونق جذاب خالب ، وإبراهيم عليه السلام قد عاش حقبة طويلة ينتقل بين البلدان والعواصم حاملا رسالة ربه ، وله في كل مكان عراك ونضال ، وسعى إلى بث الرسالة العلوية ، ونشر الآداب الخلقية ، مع اضطهاد يبلغ بشائعه إلى درجة التعذيب ومحاولة الإحراق في نار موقدة ذات أجيج ، ولكن الله يرعاه بعنايته رعاية أبداع الشاعر في تصويرها بريشته الفنانة كما أجمل معجزاته البارة في أبيات موجزة كانت مثال الدقة الحصيفة ، والسهولة العذبة حيث يقول :

فنار تفقد الإحراق يغدو حرها بردا
وطير بعد ذبح عاد رُدَّت روحه ردا
وواد غير ذى زرع دعاء فيه عيمه

وساق الطفل في البداء شقت تحتها وردا

وكان الشاعر رائعا رائعا حين صوّر تيارات الذهن
النبوي أمام مظاهر الكون الطبيعي من نجم وقمر وشمس
تسطع ثم تأفل ، والعقل حائر يتلمس طريقه فيما يرى
لينجو من ضبابه الغائم إلى آفاق النور الغامر ، وانه
ليتساءل في حيرة .

لماذا غبت يا نجمي وهل رب السما يغفل ؟
أرى قمرا ينير الأرض حقا ، إنه أفضل
وبدري غاب كيف الآن أعبد وأخشاه
أمعبود وليس يدوم ، هذا الزعم لا يعقل

* * *

أرى شمسا تضيء الكون حقا إنها أكبر
وان تعبد ففيها الدفء يحفظ من لها كبر
أتأفل هذه الأخرى أكل الكون مخلوق
اذن ربي ملك الكل ، من لكل قد سخر

وهكذا تتسلسل الخواطر والأحداث فى أسلوب
عذب ، ينفحه الخيال الصافى ويزينه التعبير الرقيق ،
وهكذا يكون القرآن مصدرا لشعر دينى هادف ، يحمل
المصباح فى غياهب الطريق ، والأدب الإسلامى الجدير
بهذا الوصف يجب أن يسير مع أهداف القرآن بدءا
وخاتمة ، والذى يشذ عن ذلك لا يعتبر أدبا إسلاميا مهما
اتصل بقصة من قصص القرآن ، فقصة أهل الكهف
مثلا وردت فى كتاب الله لتصور الوجدانية وتدلل على
البعث الأخرى ، فإذا تحدث عنها كاتب ما لتبرز غير
معانى الوجدانية والبعث من مشاكل إنسانية أخرى فليست
حينئذ ذات طابع قرآنى هادف قد تكون قصة إنسانيه
ولكنها عجزت أن تبرز أهداف القصص كما جاءت فى
كتاب الله ، أما قصة (إبراهيم الخليل) فذات جو قرآنى
يسير مع الوحي الكريم آية آية وموقفا موقفا والشاعر العقيد
أحمد نور الدين موفق كل التوفيق فى اتجاهه الهادف ،
وتعبيره الشفاف ، ومعانيه المؤمنة ، وخواطره ، ونرجو أن

يتابع هذه السلسلة بما يجعلها ذات رصيد ثمين في المكتبة
الإسلامية ذات التوجيه الأمين .

د . محمد رجب اليومى

عميد كلية اللغة العربية

جامعة الأزهر بالمنصورة



مقدمة

بقلم المؤلف

لقد كان الاستقبال الحافل الذى استقبل به القراء كتابى الأول (يوسف الصديق) ، دافعاً كبيراً لى على أن أتحمس لصياغة هذا العمل الجديد .. قصة أبى الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام . وقد اتبعت فيها نفس النهج فى صياغة قصة يوسف الصديق عليه السلام ، فنظمتها قصة شعرية من بحر واحد وهو فى هذه المرة بحر الوافر المجزوء فى شكل رباعيات مختلفة القوافى ، وذلك بالرغم مما أثير حول وحدة البحر فى قصة يوسف الصديق وأنها قد تؤدي إلى ملل القارئ . وكانت وجهة نظري فى ذلك أن الملل من الممكن أن يوجد إذا كانت القصة ذات روى واحد (قافية واحدة) . أما وأنا متعددة القوافى بشكل أحاول ألا أجعله مكرراً بين رباعيتين فى القصة كلها إلا فيما

ندر ، حيث أنها قد تجاوزت المائتى قافية ، فإن ذلك على ما أعتقد يقطع الرتبة ويمنع الملل ، خاصة وأنه يجمع كل عدد من الرباعيات عنوان مستقل .

وقد كانت التجربة في هذا العمل أكثر صعوبة من العمل السابق ، وأدعى للبحث والتنقيب في كتب السابقين ، وذلك لأن قصة يوسف قد وردت كلها بتفاصيلها الدقيقة في سورة واحدة من سور القرآن الكريم ، أما قصة إبراهيم فلم ترد في سورة واحدة ، بل وردت مجزأة في كثير من السور ، بل وكثيرا ما تتكرر الجزئية في أكثر من سورة بنص مختلف . كما أنها لم ترد كاملة في القرآن الكريم ، فكان لابد من الرجوع إلى كتب الحديث لاستكمال معالم القصة بعد جمع كل الآيات التي تحدثت عن سيدنا إبراهيم في القرآن الكريم .

وكما اختلف المفسرون في تفسير هذه الآيات ، اختلف رواة السير والأخبار أيضا في بعض تفاصيل القصة

فكان لابد من أن أحاول جهدى الوصول إلى أصح الروايات ، أو الهروب من بعض تفاصيل الخلاف التى لا تهمنا من ناحية العقيدة وذلك بمسها مساً خفيفاً خلال النظم .

والحقيقة أننى قد وجدت القصة غنية بالمواقف العقلية التى توجب التأمل والتفكير ، والمواقف الإنسانية المؤثرة ، وأرغمت نفسى على عدم الاسترسال الطويل مع كل موقف حسبما كان يقتضيه ، لأننى لو فعلت ذلك لتضخم عدد أبيات العمل إلى أكثر من ضعف عددها الحالى . وقد آثرت ألاّ يزيد العمل عن ألف بيت . ورأيت أننى بذلك أكون قد وازنت بين رغبتى الشخصية فى أن أثبت لنفسى أننى ذو « نفس طويل » فى صياغة المطولات ذات البحر الواحد ، وبين الواقع الحالى للشعر الذى يفضل « النفس القصير » الذى يتناسب مع النغمة السريعة التى تتسم بها الحياة فى هذا العصر . وإذا عاد البعض بعد هذا الإيضاح واتهمنى بالإطالة فهذا الاتهام

يشرفنى بالإضافة إلى أنه ليس معنى الاتجاه إلى عدم الإطالة أن تختفى المطولات من تراثنا الأدبى بعد أن اختفت الملاحم .

وبعد ، فإننى قد فضلت نشر هذا العمل قبل نشر ديوان يحوى قصائدى القصيرة المتنوعة الموضوعات والتي قد نكون بالنسبة لأى شاعر هى المحك الحقيقى الذى يمكن للنقاد من خلاله الحكم على القيمة الأدبية لشعره ، وذلك بالرغم من أن لى قصائد جاهزة للنشر لا يتسع لها ديوان واحد . إلا أننى آثرت أن أنشر هذا العمل إيماناً منى بأن قيمته فى ميزان الآخرة أفضل وأبقى من أى قيمة أخرى فى دنيا الناس .

ومن ثم فقد أردت أن أغتنم المثوبة من الله على هذا العمل الخالص لوجهه . وإذا كانت فى العمر بقية فأرجو أن تتسع هذه البقية لنشر ذلك الديوان .

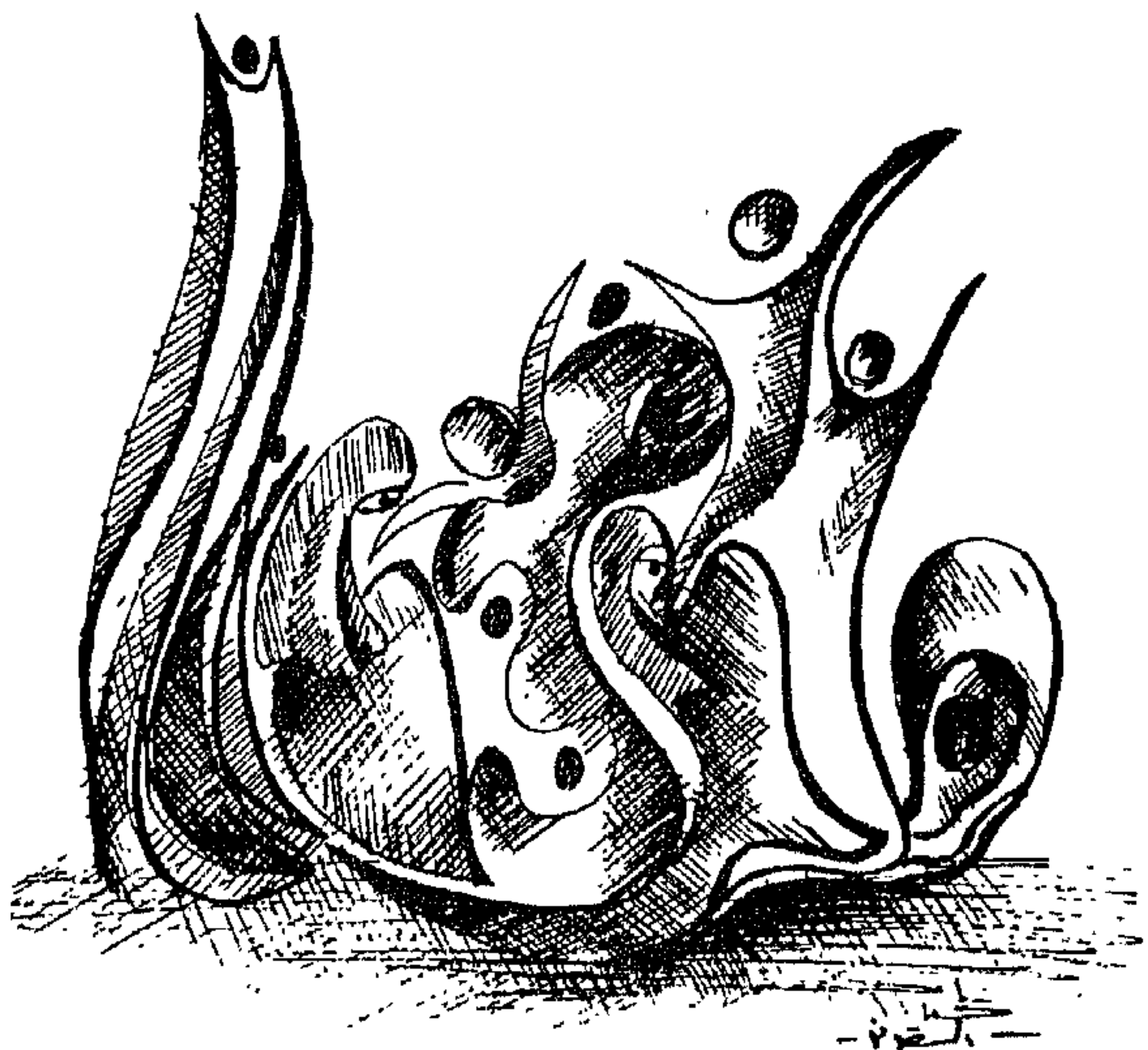
وفى النهاية لا يبقى إلا أن أتقدم بخالص الشكر إلى

الأستاذ الشاعر والمفكر الدكتور : محمد رجب اليومى
عميد كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالمنصورة ، وإلى
عمى الأستاذ الشاعر : محمد إبراهيم نور الدين ، على
توجيهاتهما الرشيدة التى انتفعت بها فى إتمام هذا العمل
﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل
علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا
ملا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .

المؤلف

الخميس ٢٢ من جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ

٢٢ من يناير ١٩٨٧



« مولد الخليل »

أَقاصيصٌ من الرحمن في القرآن منشورة
كأزهارٍ بفردوسٍ .. يُجَلَّى سحرها نُورُهُ
بها الآيات في الآيات ناطقةٌ مواعظها
مُسَبِّحةٌ لِرَبِّ العرش بالآلاء معمره^(١)

* * *

فَنَارٌ تَفْقِدُ الإحراق يغدو حرها بردا
وطيرٌ بعد ذبيح عاد .. رُدَّت روحه رَدًّا
ووادٍ غير ذى زرع .. دعاء فيه عَمْرَه^(٢)
وساق الطفلسل في البيداء شَقَّت تحتها وِرْدًا

(١) الآلاء : النعم .

(٢) وِرْد : مورد للماء .

خوارق في كتاب الله تعلن قدرة القادر
وأخرى في كتاب الكون ليس لَعْدُهَا آخر
ألا اعتبروا أولسى الأبصار شمس الحق ساطعة
فكيف مَحْجَّة التبيان يَبْقَى بعدها كافر؟

* * *

وهذى دوحةٌ منها .. نجول بينَها حيناً^(١)
ونقطف من أطايبها .. فتعطينا وتحيينا
فنشكر أنعم المَنَّان بالإيمان والتقوى
وفي صلواتنا نُغَلِّى .. لِذِكر الجمد آمينا

(١) دوحة : شجرة كبيرة وارفة الظلال ويقصد بها هنا قصة إبراهيم .

خليل الله إبراهيم حين أهَّل^(١) في بابل^(٢)
بدا نجمٌ يعمُّ الكون صبَّ النور كالواابل^(٢)
وتلك الشمس قد كسفت .. وفَرَ البدر محتجباً
فنور الله في المولود في أفق السما واصل

* * *

وفزع نوره « النمرود » حاكم تلکم الفتره
وكان لفرط سطوته .. يرى الدنيا له سُخره
أليس جميع أهل الأرض قد خضعوا لإمرته ؟
فكيف لغيره في الأرض أو في الجوّ من قدره ؟

(١) الصحيح المشهور عن أهل السير والتواريخ والأخبار هو أنه ولد في بابل
(٢) الواابل : المطر .

وَجَمَّعَ حَوْلَهُ الْكُتَّانَ يَسْأَلُهُم عَنِ الْخَبْرِ
فَأَفْتَوْهُ بِأَن بِلَاطُسَهِ يَدْنُو مِنَ الْخَطَرِ
وَقَالُوا : إِنَّ مَوْلوداً .. يُضَيِّعُ الْمَلِكَ مِنْ يَدِكَ
سَيُولَدُ فِي أَرْضَيْنَا .. فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ

* * *

وَهَاجَ وَمَاجَ ذَا النَّمْرُودِ .. أَصْدَرَ أَمْرَهُ الْغَاشِمُ
بِمَقْتَلِ كُلِّ مَوْلُودٍ .. بِسَائِرِ مُلْكِهِ قَادِمٌ
وَمَنْعَ النَّاسِ مِنْ إِنْجَابِ أَطْفَالٍ سَيَقْتُلُهُمْ
وِظْنَ الظُّلَمِ يَحْمِي مِنْ نَبُوغِ نَهَايَةِ الظُّلَمِ

ولكنَّ الوليد أتى .. بِفَضْلٍ مَشِيئَةِ الْبَارِي
وعين الله تحرسه .. وتعمى عين جبار
إذا ما شاء رب الناس ليس لحكمه رَدُّ
وكل صروف دنيانا .. لدى المولى بمقدار





« إثبات الوصول إلى الله بالعقل »

وَشَبَّ الْطِفْلُ فِي أَمْنٍ .. بِرَغْمِ غِيَاهِبِ الظُّلُمِ
كَصَيِّدٍ يَزْدَرِي الصِّيَادَ حِينَ يَضِلُّ فِي الظُّلُمِ^(١)
وَيَكْبُرُ عَقْلُهُ مَعَهُ .. يُحَصِّنُهُ بِأَفْكَارِ^(٢)
لَمَّاذَا جَاءَ لِلدُّنْيَا ؟ .. هَلِ الْإِنْسَانُ كَالْبُهِيمِ^(٣) ؟

* * *

سِلَاحُ الْعَقْلِ مَشْهُورٌ .. لِيَدْرِكَ كُلَّ مَا حَوْلَهُ^(٣)
فَمَنْ فِي الْخَلْقِ أَعْبَدُهُ .. وَتَرْهَبُ مَهْجَتِي حَوْلَهُ ؟
أَرَى ذَا النِّجْمِ بَرَّاقاً .. وَيَعْلَسُ فَوْقَ دُنْيَانَا
وَلَيْسَ سِوَاهُ مِنْ حَوْلِي .. بَذَى الدُّنْيَا لَهُ الصُّوْلَةُ^(٤)

(١) يزدري : يسخر من — الظُّلُم : جمع ظلمة .

(٢) البهم : البهائم .

(٣) مشهور : مرفوع أو متحفز .

(٤) الصولة : القهر والغلبة .

لماذا غبت يا نجمي ؟ وهل رب السما يغفل ؟
أرى قمراً ينير الأرض .. حقاً إنه أفضل
وبدري غاب .. كيف الآن أعبدته وأخشاه ؟
أمعبودٌ وليس يدوم ؟ .. هذا الرَّغْم لا يُعقل

* * *

أرى شمساً تضيء الكون .. حقاً إنها أكبر
وإن تُعبدَ ففيها الدفء يحفظ من لها كبر
أتأفل هذه الأخرى ؟ .. أَكُلُّ الكون مخلوقٌ ^(١) ؟
إذن ربِّي ملك الكل .. من لكل قد سخر

(١) تأفل : تغرب وتزول .

هو القيوم لا يغفو .. وإن يغفو نجد خلا
نرى صباحاً بغير الشمس أو تأتي لنا ليلاً
هو الخلاق أنشأنا .. وحين يشاء يقبضنا
فهل من خاليدٍ في الأرض أو من يمنع العِلا ؟

* * *

وكيف . يؤلّه الآباء أجراماً وأصناماً^(١) ؟
أرى الأجرام في فلّك .. تُسير فيه إرغاما
فلا تُدرى بدايتها .. ولا تُدرى نهايتها
تُسير بأمر خالقها .. كما سَيرت أنعاما

(١) أجراماً : نجوماً وكواكب .

أرى الأصنام دُمَيَاتٍ .. بأيدي القوم مصنوعة
فكيف غدت بنات الطين فوق الرأس مرفوعة ؟
هي الصمائم لا تدري .. لها نفعاً ولا ضرراً
فأين العقل يا قومي ؟ .. حبال الرأس مقطوعة

* * *

تَبَرُّاً منهم المفقور إبراهيم إذ رَشَدَا
وقال إلهي القيوم لم أشرك به أحدا
حياه الرُّشد من صِغَرٍ .. إله صاغ مهجته
ودَرَبَه على التبيان إعداداً لما وَعَدَا





« حوار مع أبيه »

وجاء أباه آزر قال أرجو السمع يا أبتى^(١)
لماذا تعبد الأصنام ؟ لا تسلم إلى الجب^(٢)
أتسمع صخرة نجوى ؟ أتبصر منك قربانا ؟
أثغني عنك من شيء ؟ أتمنع عنك ما يأتي ؟

* * *

يُعْظِمُهَا لك الشيطان هل تُنسى مكائده ؟
لتعبدها . فتعصى . الله .. تُبْلِغُهُ مقاصده
عنصر الزمّن في الماضي .. فعاش الدهر مطروداً
ويبغى . طرد كل الناس ... بادِرْ كي تطارده

(١) آزر : اسم والده وقد ذكر بعض المؤرخين أن اسمه تارح كما قالت التوراة .
(٢) الجب : كل ما يعبد من دون الله .

وياأبتاه قد أوتيتُ فضل العلم من ربي
وليس لديك من علم .. حباه إلى فالحق لي^(١)
طريق الحق نسلكه .. ونغنم منه أحرانا
أخاف عليك تعذيباً .. إذا مامت بالذنب

* * *

وثار الوالد المفتون ثورة جاهل حاقب^(٢)
وقال أراغب^(٣) ياإبن عن معبودنا الخالد ؟
لئن لم ترتدع عن هذه الفريسات أرجمك^(٤)
فدعني الآن واهجرني ملياً^(٤) إنني واجد

(١) حباه : أعطاه ومنحه .

(٢) راغب : زاهد أو منصرف .

(٣) الفريسات : الكذبات .

(٤) ملياً : دهنراً أو سوياً سالماً ، واجد : غاضب .

يَرَى فِي الْحَقِّ بَهْتَانًا .. وَضَوْءَ الشَّمْسِ يَنْكَرُهُ
وَلَيْسَ الْعَيْبُ عَيْبَ الضَّوِّ بَلْ رَمَدَتْ نَوَاطِرُهُ^(١)
يَرَى الْأَصْنَامَ أَرْبَابًا .. كَسَائِرَ أَهْلِ مَوْطِنِهِ
أَمِنْ أَحْجَارِهَا قُدَّتْ .. لِمَوْطِنِهِ بَصَائِرُهُ ؟

* * *

وَمَنْ جَلِمَ خَلِيلَ اللَّهِ رَدَّ السَّوْءَ بِالْحَسَنِ
وَقَالَ كَمَا يُرِيدُ اللَّهُ — حِينَ تَخْطُطُ — حُسْنًا
سَلَامَ اللَّهِ يَا أَبَتِي .. عَلَيْكَ وَسَوْفَ أَهْجُرْكَ
وَكُنْتَ أَوْدُ أَنْ أَغْلُو .. بَدَارَ عَشِيرَتِي حَصْنَا

(١) رمدت : أصابها مرض الرمد .

سَامِضِي الْآنَ مُعْتَزِلًا .. لَكُمْ وَلَدِينَكُمْ عَمْرِي
وَأَدْعُو رَبِّي الْقِيَوْمَ .. فِي سِرِّي وَفِي جَهْرِي
أَعِيشْ عَلَى عِبَادَتِهِ .. قَرِيرَ الْعَيْنِ لَا أَشْقَى
رَحَابَ اللَّهِ بَسْتَانًا .. وَرَيْفَ يَانَعِ الزَّهْرِ^(١)

* * *

فَرَّقَ فَوَادَ وَالِدَهُ .. وَخَفَّتْ حِدَّةُ الْغَضَبِ
وَقَالَ عَسَى يَحِينُ الْحَيْنُ ثُمَّ تَقْبُولُ ثَابَ^(٢) أُمِّي
فَقَالَ وَإِنْ ذَا أُمِّي .. سَادَعُوا اللَّهَ فِي لَهْفِ
بَغْفَرَانٍ لَذَنْبِكَ إِنْ تَرَكْتَ مَزَالِقَ الرَّيْبِ^(٣)

(١) وريف : كثير الأوراق .. كثير الظلال

(٢) ثاب : عاد إلى رشده .

(٣) مزالق الريب : مواطن الشكوك .

وَلَمَّا مَرَّتِ الْأَيَّامُ لَمْ تَصْدُقْ وَعُودَ أَبِيهِ
بِحَزْنٍ قَدْ تَبَرَّأَ مِنْهُ فَالشَّيْطَانُ يَسْكُنُ فِيهِ
وَيَوْمَ الْبَعْثِ لَنْ يَغْنِيَهُ وَالِدُهُ وَأَهْلُوهُ
لِكُلِّ يَوْمِهَا شَأْنٌ .. بِحَضْرَةِ رَبِّهِ يَغْنِيهِ



« حوار مع قومه »

وحاجَّ القوم إبراهيمَ في ربِّ يوحده^(١)
فقال إلهي الهادي .. برُشِدٍ منه أعبده
أأخشى من تماثيلٍ ؟ .. ولم تخشوا من الشرك ؟
فمن منا استحق الأمن هل يعطيه فاقده ؟

* * *

أُرجى الخير في التمثال ؟ هل يفضي إلى وثنٍ ؟
بربي إن ذا إفكٌ .. وعارٌّ في فم الزمن
أترزقكم جلامدها .. بطودٍ صارمٍ زرعاً^(٢) ؟
أيوجد غير ربِّ الكون ينجيكم من المحن ؟

(١) حاج : بادل الحجة بالحجة .

(٢) جلامدها : أحجاره الجامده ، طود : جبل .

عبادتها رثاء .. بين رجالكم زُلْفَى^(١)
ولكن رَبِّيَ العَلامُ يعلم كل ما يَخْفَى
ويوم العَرَضِ في الأخرى .. سيلعن بعضكم بعضا
وَيُصْطَبِحُونَ نحو النار .. يُقَذَّفُ حزبكُم قذفا

* * *

قلوبهمو كأحجارٍ .. تَمَادُوا في عبادتها
بل الأحجار قد يَجْرِي بها ماءٌ يُفْتَتِّها
أجابوا تلك آلهة .. لآباءٍ وأجدادٍ
عبدناها نقلدهم .. توارثنا مهابتها

(١) رثاء : تملق ونفاق ، زلفى : تَقَرُّب .

فقال إذا رأينا الأهل في الماضي قد انحرفوا
وحادوا عن طريق الحق واستشرى بهم خَرْفٌ^(١)
نحاكيهم كفعل القرد .. تقليدٌ بلا عقل ؟
فهم معكم بقاع النار قد ساءت به غُرْفٌ

* * *

ولاح له بصيص النور حين بدا بهم سائل
يقول أجبنا بالحق ؟ أم بدعابةٍ قائل
فقال له أقول الحق .. ربُّ العرش فاطركم
إله في السما والأرض ليس كمثله عائل

(١) خرف — خرافات لا أساس لها من الصحة .

هو الخَلَّاقُ صَوَّرَنِي .. وفي الظلمات يَهْدِينِي
هو الرِّزَّاقُ ليس سِوَاهُ يَطْعَمَنِي . ويسْقِينِي
ويشْفِينِي من العَلَّاتِ .. يَحْيِيَنِي وَيَقْبِضُنِي
وَأَرْجُو مِنْهُ غَفْرَاناً .. يَوْمَ الْبَعْثِ وَالَّذِينَ^(١)

* * *

فسيروا وانظروا في الأرض كيف النشأة الأولى
أَخْلَقَ دُونَ خَلْقٍ ؟ .. أَيَبْدُو الْقَوْلَ مَعْقُولاً ؟
فَرَّبْنِي مِنْ شَيْءٍ أَوَّلَى .. وَيُنْشِئُ نَشْأَةً أُخْرَى
وَقُدْرَتُهُ بَلَا حَدٍّ .. فَخَافُوا مِنْهُ تَنْكِيلاً

(١) الدين : الحساب في الآخرة .

فما أنتم سوى نذري .. قليل من . خلائقه^(١)
وقبلكمو وبعدكمو .. وراء في حقائقه^(٢)
وليس بمعجز لله إعراض وتكذيب
فما هو ظنكم بالله يا أعلام مشرقه ؟



(١) نذر : جزء .

(٢) وراء : جدل .



« تحطيم الأصنام »

(١) وبعد دقائق التبيان تلك قلوبهم غُلف
كأن لم يسمعوا شيئاً .. فما اهتزوا لما عَرَفُوا
تمكَّن إفكهم منهم .. قضى الشيطان أمرهم
وصاروا مثلما الأنعام إن سيقوا وإن وُقِفُوا

* * *

وضجَّ بهم خليل الله .. ما هو فاعلٌ بهم ؟
فقال إليكمو عنى .. لقد أصبحت في سِقَمٍ
ولم يكذب معاذ الله .. قد أعيوه من جدلٍ
تولَّوا عنه إدباراً .. ليقضوا العمر في العدم

(١) غلف : غلفها الباطل وصحبها عن الحق .

وَأَقْسَمَ أَنْ يُلْقَنَهُمْ .. بِأَصْنَامِهِمْ لَهُمْ دَرْسًا
وَإِنْ نُسِيَتْ مَوَاعِظُهُ .. فَإِنَّ الْفَعْلَ لَنْ يُنْسَى
يَحْطُمُ هَذِهِ الْأَصْنَامَ كَيْ يُجْلِيَ^(١) حَقِيقَتَهَا
وَلَا يَأْسُ مِنَ التَّرِياقِ حَتَّى يُفْرِغَ الْكَأْسَ

* * *

وَرَاغٌ تَجَاهَ سَاحَتِهَا .. يَسَابِقُ نَحْوَهَا غِيْظُهُ^(٢)
وَرِقَّةٌ قَلْبَهُ أَمْسَتْ .. بِسَاحَةِ إِفْكَهِمْ غِلْظُهُ
سَأُضْرِبُ كَفْرَهُمْ يَدِي .. تَوْحُّدَ رَبِّهَا الْبَاقِي
فَوَارِئَاهُ آزَرْنِي .. لِأَغْنِمَ هَذِهِ اللَّحْظَةَ

(١) الترياق : الدواء .

(٢) راغ : توجه .

وَشَجَّعَهُ أَنْصَرَفَ الْقَوْمَ وَالْأَصْنَامَ مَنْفَرَدَةً
وَقَالَ طَعَامُكُمْ حَلَوٌ .. مَرِيءٌ يَصْلَحُ الْمَعْدَةُ^(١)
لِمَاذَا لَمْ تَذُوقُوهُ ؟ .. أَجِيبُوا مَا لَكُمْ بِكُمْ^(٢)
أَتَيْتَ لَكَی أَحْطَطُكُمْكُمْ .. أَيَحْمِي أَيْكُمْ جَسَدَهُ ؟

* * *

وَرَاغَ عَلَيْهِمْوُ ضَرْباً .. يُيْمَنِي مُؤْمِنٍ وَاثِقُ
وَعَادِرَ فَأَسَهُ عَمِداً .. بِرَأْسِ كَبِيرِهِمْ عَالِقُ
لِيَكْمَلَ دَرَسَهُ فِيهِمْ .. إِذَا اكْتَشَفُوا مَكِيدَتَهُ
فَيُفْجِحُهُمْ وَمَوْطَنَهُ .. يُبَدِّلُ ثَوْبَهُ الْخَالِقُ^(٣)

(١) مَرِيءٌ : سَهْلُ الْهَضْمِ .

(٢) بِكُمْ : لَا يَسْتَطِيعُونَ النُّطْقَ .

(٣) يُفْجِحُهُمْ : يَهْدِمُ حُجَّتَهُمْ ، الْخَالِقُ : الْبَالِي .

وعاد القوم من حفل .. صَخِيْبِ أسفل الوادى
إذا الأصنام أطلال .. رماذ يملأ النادى
فساءل بعضهم بعضاً .. ودهشتهم تورقهم
أيفعل عاقل هذا بآلهة ؟ مَنْ العادى ؟

* * *

أيعجب قوم إبراهيم ؟ .. إنَّ سؤالهم أعجب
آلهة وإن تُضْرَبَ .. فلا تُدْفَع ولا تُغْضَب ؟
فكيف تُرَدُّ عن عبادها ضراً وتنفعهم ؟
معين القوم من جهيل .. أجاج^(١) .. ليته ينضب^(١)

(١) معين : ماء جارى ، أجاج : شديد الملوحة ، ينضب : ينفذ .

« المحاكمه »

ونادى بعضهم إنا .. سمعنا عن فتى جامع^(١)
يُسَفِّهنا وينكرهم .. وينشر جرمه الفاحش
ينادى باسم إبراهيم قد شاعت روايته^(٢)
« وآزر » إسم والده .. — نُظِنُ — أو اسمه « تارح »^(٣)

* * *

فقالوا ائتوا به قسراً .. أمام نواظر الناس^(٣)
فيشهد جمعهم علناً .. مخالب حكمنا القاسى
ليعتبروا برؤيتهم .. تضرُّعه وخيفته
إذا ثبتت جريمته .. بلا ظن وإحساس

(١) جامع : متهور مندفع .

(٢) لم نشأ تغليب اسم على آخر لعدم أهمية اسم والده فيما يتعلق بالعقيدة .

(٣) قسراً : رغماً عنه .

وجاءوا بالفتى يمشى .. ورأس الرُّشد مرفوعة
وأمن الحق يُسْكِنه .. ورأس الكفر مصلوغة
وقالوا يافتي أفصح .. أقد كسَّرت آلهة؟
نريد إجابة تشفى .. لكل الجمع مسموعة

* * *

أجاب بقَوْلٍ جهلت .. مداركها مسامعهم^(١)
كبيرهمو هو الجاني .. وإن ترجوه يُرجعهم
أليس كبير آلهة .. تَغْنِيْتُمْ بقدرته
أجبتُ ولستُ كذاباً .. ومن قد شكَّ يسألهم

(١) مداركها : أبعادها ، مسامعهم : آذانهم .

تبادل قومه النظرات واهتزوا لما سمعوا
كأن الحق أيقظهم .. وعن بهتانهم رجعوا
وقالوا إننا يا قوم في ظلم .. تهاوينا
ويا سرعان مانكسوا .. وللشيطان قد فزعوا^(١)

* * *

فقالوا يافتى تهذى .. حديثك خانه المنطق
آلهة من الأحجار حين سؤلها تنطق ؟
وأيم الحق إن القوم قد طفحت جهالتهم^(٢)
وقد عميت بصائرهم .. بليل سرمد مطبق^(٣)

(١) نكسوا : عادوا إلى باطلهم ، فزعوا : أسرعوا في فزع .

(٢) وأيم الحق : أقسم .

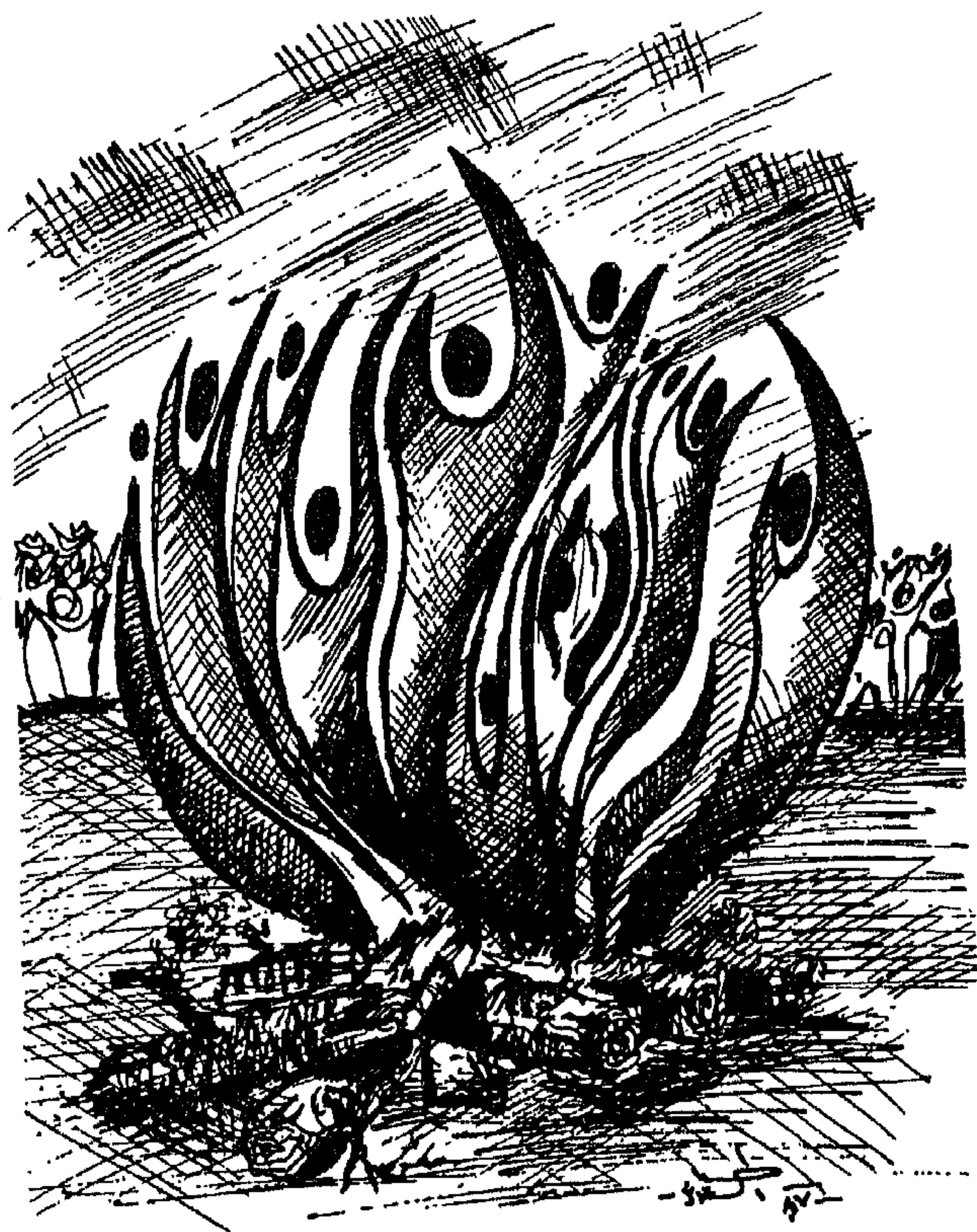
(٣) ليل سرمد : طويل .

أمام الجمع إبراهيم قد لاحت له الفرصة
ليدعو الكل للرحمن بعد مواعظ القصبة
فقال : أمام أكثركم .. شهدتم أنهم بكم
رأيتهم عجزهم عني .. فهل تبقى لكم رخصه^(١) ؟

* * *

ولم تفلح مع الكفار أى مشارب الدعوة
فهم كهوائم البيداء تلغى العقل بالقوة^(٢)
فقال بحسرة أف لكم ولما تجانفت^(٣)
بغير العقل سوف تشدكم من كبوة كبوه

-
- (١) فهل تبقى لكم رخصه : هل يبقى لكم ما يبيع اتباعكم للباطل .
(٢) هوائم البيداء : الوحوش الهائمة في الصحراء .
(٣) لما تجانفت : لما تعمدتم الميل إليه من إثم .



« قذفه في النار »

وجاء الحكم دون تداولٍ .. نلقيه في النارِ
عسانا ننصر الأصنام حين نهبُ للتارِ
وكان الحكم عين الظلم رغم هوان حجّتهم
وراق لكل من حضروا .. فما ظنُّ بكفارٍ ؟

* * *

وقد لجأوا لسطوتهم .. فقد أعتيم الحجة
وإن العقل قد يُلغى .. إذا ما سادت الضجة
فها قومنا انتشروا .. جميعاً واجمعوا خطباً
وتلك حويّة كبرى .. شرعب نارها المهجة^(١)

(١) حويّة : أرض صلبة ملساء مخاطة بالحجارة .

وَضَلَّ الْقَوْمَ أَيَّاماً .. وَكُلَّ يَجْمَعُ الْخَطِيئَاتِ
وَيَنْذُرُهُ ذُو أَرْبٍ كَأَن سَيَبْلُغُ الْأَرْبَاءُ^(١)
وَالْقَوَا فِي حَوِيَّتِهِمْ .. فَأَضْحَتْ نَارُهَا حِمَاماً
تُحَرِّقُ مِنْ يَقَارِبِهَا .. وَتَطْلُقُ فِي السَّمَاءِ شُهْباً

* * *

وَقِيلَ أَتَوَا « بِمَنْجَانِيْقٍ » صَنْعَةً لَهُمْ رَجُلٌ^(٢)
مِنْ « الْأَكْرَادِ » قَدْ حَمَلَتْهُ آلاَتُهَا عَجُلٌ
وَكَانَ قَدُومُهُ عَجَباً .. فَمَا سَمِعُوا بِهِ قَبْلَ
وَجُوزِي « هِيزَنْ » بِالْخُسْفِ .. قَدْ أَوْدَى بِهِ الْعَمَلُ^(٣)

(١) وينذره ذوو أرب : يهبه دوى الحاجات كنذر لبلوغ حاجاتهم .

(٢) المنجانيق : آلة قديمة من آلات الحصار كانت تلقى بها الحجارة الثقيلة على الأسوار .

(٣) هيزن : رجل من الأكراد كان أول من صنع المنجانيق فخسف الله به الأرض

فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة — انظر قصص الأنبياء لابن كثير ص

. ١٣٩

فَدَيْتُ خَلِيلَ مَوْلَاهُ .. وَقَدْ أَلْقَوْهُ فِي آلَةٍ^(١)
وَقَدْ غَلَّوْهُ بِالْأَغْلَالِ مَا يَشْكُو لَهُمْ حَالَهُ
وَقَالَ إلهي الديَّانُ رَبُّ الْكَوْنِ أَعْبَدُهُ
وَلَمْ أَشْرِكْ بِهِ شَيْئاً .. وَأَشْكُرُ مِنْهُ أَفْضَالَـهُ

* * *

فَدَيْتُ خَلِيلَ مَوْلَاهُ .. وَقَدْ أَلْقَوْهُ فِي النَّارِ
فَنَادَى حَسْبِيَ اللَّهُ .. وَكَيْلِي رَبِّي الْبَارِي
إلهي أَنْتَ فِي الْعِلْيَاءِ رَبُّ وَاحِدٌ صَمَدٌ
وَأَنْسَى وَاحِدٌ فِي الْأَرْضِ عَبْدُكَ رَغِمَ كُفَّارِ

(١) غلَّوه : قيدوه .

فديتُ خليل مولاة .. وقد وافاه جبريلُ
وقال : أحاجةٌ مني .. فردَّ أَمَنكَ تحويلُ ؟
إلهي الواحد القهار يعلم في السَّما حالي
إذا ما شاء إنقاذي .. فليس يعسوزه قبْلُ

* * *

فديتُ خليل مولاة .. ملاك الغيث يستعجلُ^(١)
يقول متى يشاء الله للأمطار أن تنزل ؟
وتلك حدود مخلوقي .. لكسل مُسَبِّب سببُ
ولكن خالق الأسباب حيث يشاء لا يُعْمَل

(١) ملاك الغيث : الملاك الموكل بإنزال المطر .

فأصدر رُبُّنا أمراً .. إذا بالنَّارِ لا تحرقُ
وأصبح حَرُّها برداً .. وأضحت جَنَّةٌ تُغْدِقُ^(١)
وتعقد دهشة الكفار حول النار السنَّةُ
فكيف يعيش في نارٍ .. ذبول دخانها تُزهِقُ ؟

* * *

وذاك أبوه مذهولٌ .. يُحَدِّقُ فيه .. ما هذا ؟
لماذا النار لم تحرق ؟ .. أتنحو النار ؟ أم ماذا ؟
فهذه اليوم معجزةٌ .. تحار عقولنا فيها
لِنَعْمِ الرَّبِّ ربِّ ابنى .. فقد أنجاه إذ لاذا

(١) تغدق : تكثر في العطاء .

وهما هي أم إبراهيم .. سرَّ فؤادها المنظر
وهذه نارها تخبر .. وهذا خوفها أدبر
أشارت لابنها في النار أن يدعوا لها ربّه
لتدخل كي تقبله .. فلم تحرق ولم تُقبر

* * *

وذا جبريل يؤنسه .. ويمسح حانياً عرقه
وهما هو ذا ملاك الظل ينشر ظلّه فوقه
قضى في النار أياماً .. وطاب له بها المشوى^(١)
وربّ العرش أخرجه .. ألم يخرجه من علقه؟^(٢)

(١) المشوى : الإقامة .

(٢) علقه : دم غليظ متجمد معلق بجدار الرحم .

وَلَمْ تَنْفَعَهُمُ النَّارُ يَوْمَئِذٍ .. وَلَمْ تُجِـدِ
أَرَادُوا حَرْقَ إِبْرَاهِيمَ .. لَمْ يُحْرِقْ سِوَى الْقَيْدِ
لَسَوْفَ يَرَوْنَ نَارَ اللَّهِ إِذْ يُصَلُّونَ فِي الْآخِرَى
إِذَا ذَابَتْ جُلُودُهُمْ .. يُبَدِّلُ ذَائِبَ الْجِلْدِ

* * *

أَرَادُوا النَّصْرَ فَانْهَزَمُوا .. وَرُدَّ السِّيفُ فِي النَّحْرِ^(١)
أَرَادُوا الْعِزَّ فَاتَّضَعُوا .. وَبَاءَ الْكَيْدُ بِالْخُسْرِ^(٢)
وَأَجَسَى اللَّهُ آيَتَهُ .. فَمَا اعْتَبَرُوا وَمَارْجَعْنَا
فَنَارُ الْكَيْدِ قَدْ هَدَأَتْ .. وَجَذْوَةُ كَفَرِهِمْ تَسْرِى

(١) النحر : الصدر .

(٢) بَاء الكيد بالخسر : ارتد كيدهم بالخسارة عليهم .



« حوار مع النمرود »

وذا « النمرود » مولا هم .. ويزعم أنه ربُّ
خَبَتْ نارٌ بساحته .. ونارٌ فيه لم تخبُ
يقول ائتوا بهذا العبد .. سوف أهدُّ حجَّته
سيشهد أني ربُّ .. ستترك عقله الرِّيب^(١)

* * *

وحين أتاه إبراهيم .. قال له فَمَنْ تَعْبُدُ ؟
أجاب : الله مَنْ يُحْيِي .. وَمَنْ يَفْنَى .. له أسجدُ
فقال : وإنني أفعل .. فهذا العبد أقتله^(٢)
وذاك العبد أعفيه .. من الإعدام إذ يخلدُ

(١) الرِّيب : الشكوك .

(٢) يخلد : يسكن ويمتثل .

وأدرك عقل إبراهيم أنَّ الكافر استعمل
وظنَّ جميع فعل الله في الإنسان قد فعل
فأقسم أن ليخسرته .. بفعل الله في الكون
ليعلم أنه عبْدٌ .. لربِّ قادرٍ أعلى

* * *

فقال الله : يجرى الشمس من شرق إلى غرب
فأشرقها من الغرب .. وتغدو بعدها رُبِّي
مضى « النمرود » مبهوتاً .. فإبراهيم أفحمه
وبالبرهان أوْكسَه .. وفاز الحق بالقلب^(١)

(١) أوْكسَه : جعله خاسراً .

سلاح الحق بتأثر .. يمدُّ المرء بالقوَّة^(١)
فبين الحق والبهتان ————— حين تحاور هُوَّة^(٢)
ترى الكذاب في عنيت .. يُرتَّقِ . قوله البالي^(٣)
وذو صدقٍ مقولته .. تراها جَزَلَةٌ حلوه^(٤)

* * *

وظلَّ الكافر « النمرود » في طغيانه سادر^(٤)
وقيل بعوضة مَرَقَتْ .. بمدخل أنفه الغائر
بحوف الرأس قد عبثت .. فأصبح لا يرى نوماً
تحيته غدت ضرباً .. وتلك نهاية الفاجر

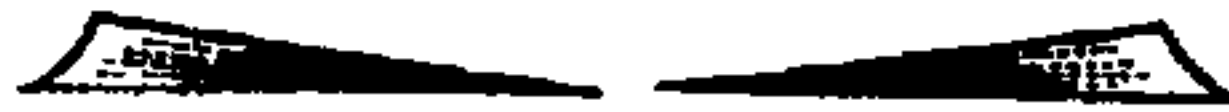
(١) هُوَّة : مسافة شاسعة .

(٢) يرتق قوله البالي : يحاول في مشقة مداراة مابه من أكاذيب .

(٣) جزلة : قوية سديده .

(٤) سادر : لاهيا لايهم بما يفعل .

تَعَالَى مَنْ يُذَكِّرُنَا .. بِتَارِيخِ لَأَقْسَامِ
عَتَوْا عَنْ أَمْرِ غَيًّا .. فَذَاقُوا وَيْلَهُ الْهَامِي^(١)
فَذَاكَ الْكَافِرَ الْأَفَّاكَ قَدْ فَتَنَتْهُ قَوَّتُهُ
وَأَضْعَفَ تَجَلُّقَ خَالِقِهِ .. يُقَوِّضُ عَرْشَهُ السَّامِي^(٢)



(١) عتوا : تجاوزوا الحد في طغيانهم وعصيانهم لله .

الهامي : المنصب .

(٢) يُقَوِّضُ : يُصَدِّعُ .

« هجرته إلى بلاد الشام »

وَدَبَّ اليأس في قلب الخليل فأثر الهجره
وأرض الله واسعاً .. يجوب مُبِيناً أَمْرَهُ
وقد يلقي بأرض الله مَنْ يعنو^(١) لقدرته
وَمَنْ يدعو للدين الله .. شَدَّ إلهه أزره

* * *

وَلَمْ يَكُ مؤمناً بالله إلاَّ زوجه « ساره »
كذا ابن شقيقه « لوط » .. وظلاً العمر أنصاره
فسار مهاجراً بهما .. لأرض الشام متجهاً
وأكثر في مدائنهما .. للدين الله أسفاره

(١) مَنْ يعنو : من يخضع ويذل

فَمِنْ « أُورٍ » إِلَى « حَرَّانَ » ثُمَّ إِلَى « فِلَسْطِينَ »^(١)
يَكْبِّرُ بِاسْمِ خَالِقِهِ .. وَيَسْتَشْدُ رَفْعَةَ الدِّينِ
وَقِيلَ لِلَّهِ بَشَرُهُ .. بِمُلْكِكَ فِي سَلَاتِكَ
فَشَيْدَ مَذْجًا شُكْرًا .. لِمَالِكٍ مَشْهَدِ الدِّينِ^(٢)



(١) أُورٍ وحران وفلسطين : مدائن من بلاد الشام .

(٢) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ص ١٤٦ .



« سفره إلى مصر »

وَعَمَّ الْقَحْطُ أَرْضَ الشَّامِ قَاصِيَهَا وَدَانِيَهَا
فَغَادَرَهَا خَلِيلُ اللَّهِ بَعْدَ مَقَامِهِ فِيهَا
إِلَى مِصْرَ بِلَادِ الْخَيْرِ مِنْ أَزْمَانِهَا الْأُولَى
حَبَاهَا اللَّهُ نَهْرَ النَّيْلِ يَطْعَمُهَا وَيَسْقِيهَا

* * *

وَكَانَ مَلُوكُهَا « الْهَكَسُوسُ » مِنْ أَجْنَادِ رُغْيَانَ^(١)
فَقَدْ غَضَبُوا أَرْضِيهَا .. رَضِيْعَةً نِيلَهَا الْقَانِي^(٢)
رَأَوْا ضَعْفًا يَرُوقُ لَهُمْ .. مِنَ الْأَمْرَاءِ لَمْ يُعْهَدْ^(٣)
فَسَامُوا الشَّعْبَ أَلْوَانًا .. مِنَ الْبُلُوْىِ بَطْغِيَانَ^(٣)

(١) انظر قصص الأنبياء د . عبد الوهاب النجار ص ١٠٨ .

(٢) نيلها القاني : ذو الماء الأحمر لكثرة الطمي فيه .

(٣) ساموا الشعب : أذاقوه الذل .

وقد عَلِمَ الخليل بما اعتري الحُكَّام من فُحشٍ ..
« وسارة » زوجه كانت .. كَبْدِرٍ في الفلا بِمَشَى^(١)
مُحَيًّا ناطقٌ بالحُسن لم يُرَ مثله^(٢) قَبْلًا
ففكَّر في حماية عرضه من نزوة العرش

* * *

فقال لها : إذا أَحَدٌ .. أتاك يقول من أنتِ
أجيبى مثلما سأجيب أنك « سارة » أختى
ولم نكذبِ فانت الأخت في دينِ يواخينا
وسوف يَصُدُّ عنك الله سهم الشرِّ إن يأتِ^(٣)

(١) الفلا : الصحراء .

(٢) محيًّا : وجه .

(٣) تفاصيل الرحلة إلى مصر من حديث لأبي هريرة .

وأفضنى للمليك منافق من بين حاشيته
بأن ملكة للحسن قد حلت بناحيته
وبصحبها غريب سائر في نور طلعتها
تليق كدرة للعرش أو نجم بناصيته^(١)

* * *

فقال إلى . بالمحظوظ .. كى أستوضح الأمر
سأسأل عن رفيقته .. وأصير بعدها الأمر
فهب الجند فى عجل .. ونحو خيامه قصدوا
وقد سيق الخليل كما .. يساق بجحفل أسرى^(٢)

(١) بناصيته : بمقدمته .

(٢) جحفل : جيش جرار .

فقال له ملك القوم : مَنْ تلك التى تصحبُ ؟
أجاب رفيقتى أختى .. رأينا أرضكم أخصبُ
فجئنا نبتغى رزقاً .. حلالاً من أطايبها
ومن يتجشَّم الترحال .. سوف ينال ما يَـرْغَبُ^(١)

* * *

فقال : أَمَرْتُ أَنْ تُسَبَى .. وتغدو من حليلاتى^(٢)
فما لجمالها رجلٌ .. يقدره سوى ذاتى
فهيا اذهب وأحضرها .. لكى أعفيك من غضبى
وحاذر أن تؤخِّرها .. فذا عَبَثٌ بأوقاتى

(١) يتجشَّم الترحال : يتكلفه على مشقة .

(٢) تسبى : تصير جارية بعد أسرها .

وعاد لها خليل الله يحكى هذه البلوى
ومدّ يديه للرحمن يرجو الصبر والسلوى
فقال: لا تخف إني .. رضيت بما قضى ربّي
بإذن الله سوف أظلّ مُحصنة لمن أهوى^(١)

* * *

وسار بها خليل الله في ثقة بمولاهُ
وردّد إذ يفارقها .. لديهم : حسبي الله
وقام إلى مصلاه .. بيت لربه النجوى
إلهى كن لها حصناً .. وخيب كل مسعاهُ

(١) محصنة : حافظة لعرضها .

وهاهي « سارة » عكفت : تناجي الله في السرِّ
إلهي إنني آمنت حين دُعيت للبرِّ
وعرضي عشت أحفظه .. وأرعى في الدُّجى زوجي^(١)
فكن حصني من الجبار .. واقبضني على الطُّهر

* * *

وقسام لها عدو الله تملأ رأسه النَّـزْوَـة
وقال : إني إلى الآن قد هَيَّأْتُ ، للخلوة
وأحجم حين قاربها .. وخار ، كَأَنَّهُ مَيِّتٌ^(٢)
فقلت : إن يَمُتْ أُقْتَل .. إلهي هب له الصَّحوه

(١) الدجى : الليل الشديد السواد .

(٢) خار : ضعف وتهالك .

وعاد الوعى للباغى .. فحاول مرةً أخرى
 وعاد الضعف يمنعه .. فقال : أرى بها سحراً
 وثالثة ولم يفلح .. فأوجس : خيفةً ^(١) منها
 أن يحوى جسمها شهياً .. رجوماً تحرس الخدر ^(٢)

* * *

وقال لمن أشار بها .. وباستقدامها تاجر
 لقد أحضرت شيطاناً .. فدعها واعطاها « هاجر »
 بل اعط رقيقها الأموال واجزل في العطاء له
 لعنل إذا نفحناه .. وأصبح غائماً هاجر

-
- (١) أوجس خيفة منها : شعر بالخوف منها .
 (٢) شها رجوماً تحرس الخدر : شهب تحرق من يقترب من فراشها ..

وسارت « سارة » نحو الحبيب تُزفُّها الفرحة
تلملم حزنه عنه .. وتمسح عينها جرحه
وقالت : صانك الرحمن .. بل أعطاك جارية
وأمولاً وزلز فوق قمة كفرهم صرخة



فقال لها خليل الله : أذهب ربي الحُجُبا
وكنت أرى بلا عين .. مرأى تُسعد القلب
رأيت الله يدفع عنك كيد الآثم الباغى
رأيت العرض محفوظاً .. رأيت الحق قد غلبا

(١) تلملم : تلم والمعنى تحاول أن تذهب عنه الحزن .

« عودته إلى فلسطين »

هنيئاً هذه الأفياء .. عاقبة لصبرٍ طال
تعين على عزوف الناس .. تدفعهم إلى الإقبال^(١)
لندعوهم إلى الرحمن ماعشنا ولا نألو^(٢)
فهيئاً أخت إسلامي .. فإن الخير في الترحال

* * *

تعالى نغنى اللحظات .. لا نركن إلى الرغد
نعود لبیت مقدسنا .. ونبذل يومنا لغد
فقد يهدى بنا الرحمن عبداً واحداً فيها
فيغنيننا أماناً الله عن مالٍ وعن وَلَدٍ

(١) عزوف الناس : انصرفهم .

(٢) لا نألو : لا ندخر جهداً ولا نبخل به .

وسارا نحو أرض « القدس » في يهراء^(١) لا ترحم^(٢)
ومن يسرى بنور الله في تيه الدجى يسلم^(٢)
وطاب مقامهم فيها .. بإذن الله أعواماً
وقد رجت تجارتهم .. ونال الخير من قدم



(١) يهراء : صحراء لا يهتدى بها .

(٢) يسرى : يمشى ليلاً .

« حُبُّ الاستطلاع عنده »

وكان خليل مولاة .. يناجى ربه هَمْسًا
ويرجو منه الاطمئنان كي يستروض النفس^(١)
ويقطع دابر الشيطان حين .. يلم قسطله^(٢)
ويغتم في رحاب الله حين يجيبه الأنا

* * *

فقال شهدت يامولاي أنك مُطلق القدرة
وأنت خالق الأشياء .. جاعلها لنا سُخره
وتحينا وتقبضنا .. وتبقى بعدما نفنى
وفي الأخرى تحاسبنا .. على أدنى من الذرة

(١) يستروض النفس : يجتهد في ترويضها وتعويدها على طاعة الله .

(٢) يلم : يأتي ويذهب بسرعة ، القسطل : غبار الحرب .

ولكنني أتوق لأن تريني البعث في الموتى
وحين أريد يارباه .. أطمع منك أن أوّتى
فقال الله : يا عبادي .. ألم تؤمن بمقدرتي
أجاب : بلى ولكنني .. أَجَنَّبُ قَلْبِي الْأَمْتَا^(١)

* * *

فقال : إليك يا خلي .. بأربعة من الطير^(٢)
وقطّعهنّ أشلاء .. بل امزجهنّ كالتمر^(٣)
وضّع أجزاءها شتى .. بأطواد^(٣) مفرقة^(٣)
ونادين حين أشاء عُدُنْ إليك بالأمر

(١) الأمت : الاعوجاج ارتفاعاً وانخفاضاً .

(٢) يا خلي : يا من اصطفيته واتخذته خليلاً .

(٣) أطواد : جمع طود وهو الجبل .

يَكُنْ أَحْيَيْتُ مِنْ يَحْيَا .. نَفَخْتُ الرُّوحَ فِي الطِّينِ
وَحِينَ أَشَاءُ أَقْبِضُهُ .. وَأَمْرُهُ فَيَأْتِينِي
مِنَ الْأَجْدَاثِ أَخْرَجَهُ .. فَيَحْيَا تَارَةً أُخْرَى^(١)
يَجِيبُ نِدَاءَ « إِسْرَافِيلَ » يَوْمَ الْحَشْرِ وَالَّذِينَ^(٢)

* * *

وَهَا هُوَ ذَا خَلِيلَ اللَّهِ رَغْمَ قَنَاعَةٍ يَفْعَلُ
إِذَا بِالْعَضْوِ نَحْوَ الْعَضْوِ حِينَ نِدَائِهِ أَقْبَلَ
وَهَبَّ الرِّيشَ نَحْوَ الْجِسْمِ يَكْسُوهُ عَلَى عَجَلٍ
وَعَادَ الطَّيْرَ فِي سَعْيِهِ .. وَلِلْإِعْجَازِ قَدْ أَكْمَلَ

(١) الأجداث : المقابر .

(٢) إسرافيل : الملاك الذي سينفخ في الصور يوم القيامة .

إلهى يابديع الخلق .. مأبهاك من صانع
خلقت الكون من عدم .. وضعت نظامه الرائع
وتمحوه بميقات .. كأن لم يغن بالأمس^(١)
فويل للذين عتوا .. عذابك ماله دافع



(١) يغن : يعمر .

« نزوح نبي الله لوط إلى سدوم »

ورافق « لوط » « إبراهيم » عند « القدس » أياماً
نَمَتْ أموالهم فيها .. وعاد الدهر بساماً
فقال له خليل الله : حان الوقت أن تظعن^(١)
لأهل « سدوم » تدعوهم .. فكن لله قواماً^(٢)

* * *

وسرت « لوطاً » البشري .. ففارقه إلى الغور^(٣)
وحطَّ رحاله « بسدوم » .. إيماناً بمقدور
وكانوا أهل معصية .. فلم يجزع .. ولم يرجع
بأيَّد الله سوف يشدُّهم شدًّا إلى النور^(٤)

(١) تظعن : ترحل .

(٢) سدوم : البلد التي أرسل الله لوطاً لدعوة أهلها وهي مدينة قديمة في فلسطين
كانت تقع على شاطئ البحر الميت .

(٣) الغور : وكان يعرف بغور زعر في فلسطين .

(٤) أيَّد : قوة .

(١)

وقيل أتاها أشرارٌ .. خلال دياره جاسوا
على الأموال قد جاروا .. على الخيرات قد داسوا
وقد أسروا نبي الله .. سعيًا في مذلته
تحكم شرهم فيهم .. وللشيطان وسواس

* * *

ولما سيقّت الأنبياء نحو خليل مولاة
سعى في نصره ابن أخيه .. يرعى خطوه الله
بجيش من سنايكه .. كأن النقع أطواد^(٢)
له الإيمان كالمشكاة .. يهديه بمسراه

(١) خلال دياره جاسوا : طافوا بين دياره للقتل والنهب .

(٢) السنايك : أطراف حوافر الخيل ، النقع : غبار الحرب .

وحارب جيشه الطاغين حتى أحرز النصرًا
وطارد ذيلهم بالسيف من أرض إلى أخرى
وعسكر في تخوم « دمشق » .. موقع اسمه « برزه »^(١)
وحتى يومنا هذا .. يُزار لتتفع الذكرى

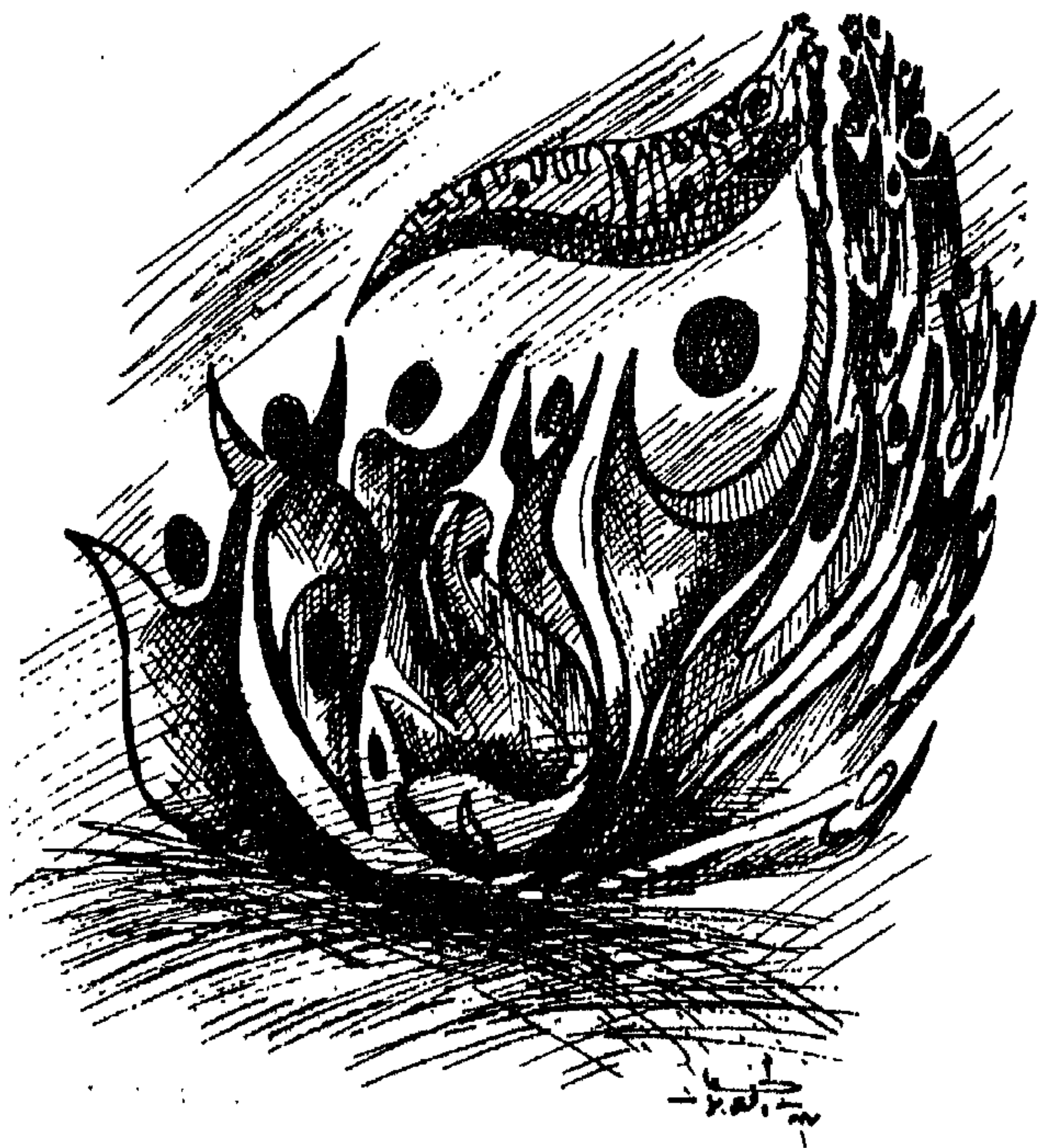
* * *

وعاد إلى أراضى القدس فوق الهام محمولاً
وبين رءوسها يحظى .. بقدرٍ كان مأمولاً
فقد ظهرت شجاعته .. ونخوته ونجته^(٢)
ولم يتمرس الهيجاء .. تلك المرة الأولى^(٣)

(١) أنظر قصص الأنبياء لابن كثير ص ١٥١ .

(٢) نخوته : عظمته ، نجته : قيامه لنصرة من يستنصره .

(٣) لم يتمرس الهيجاء : لم يتعود على الحرب .



« مولد نبى الله إسماعيل »

ومرّت بعض أعوام .. ولم ينبج خليل الله
سنون حياته تمضى .. ولا يحظى بزهر مناه
يناجى ربه الرزاق أن يعطى له ولداً
لكى تمتد فى التاريخ دعوته .. إلى أقصاه

* * *

فقال « سارة » : زواجه قد تتحقق البشرى
وقد تنجب. فلا تيأس .. عليك بزوجة أخرى
وَهَبْتُكَ « هاجراً » فادخل بها قد تُرزق النسل
فأسعد حينما تزهو .. بمن سيجدد العمر



قَضَيْتُ الْعَمْرَ يَازَوْجَاهُ قَلْبِكَ كَانَ لِي وَحْدِي
صَحْبَتِكَ فِي الْهِنَا وَالضُّنْكَ .. أَرَعَى عَشْنَا جَهْدِي
وَشَاءَ اللَّهُ بَعْدَ مَرُورِ جُلِّ الْعَمْرِ لَمْ أَنْجِبْ^(١)
رَضِيتُ بِمَا قَضَى رَبِّي .. وَأَخْشَى فِطْرَةَ الْوَجْدِ^(٢)

* * *

فَهْيًا لَا تَخَفْ وَامْضِي .. لِأَمْرٍ قَدْ رَضِينَاهُ
وَلَنْ تَأْتِيَ بِأَمْرِ اللَّهِ فِعْلٌ مِنْكَ أَخْشَاهُ
وَلَنْ تَخْبُو مَحَبَّتَنَا .. إِذَا مَا دَمْتَ لِي زَوْجًا
وَحَسْبِي أَنْ أَرَى أَمْلًا .. يُحَقِّقُهُ لَكَ اللَّهُ

(١) جل العمر : معظمه .

(٢) أخشى فطرة الوجد : أخشى الغضب الناتج عن الغيرة الفطرية في المراء

تَزَوَّجَ « هَاجِراً » وَدَعَا .. بَأْنَ يُعْطَى بِهَا الْأَوْلَادُ
وَقَدْ حَمَلْتُ بِأَمْرِ اللَّهِ .. مَرْحَى مَقْدَمِ الْأَعْيَادِ^(١)
تَهَلَّلْ وَجْهَهُ بِشِراً .. فَنَاجَى رَبَّهُ شُكْراً
عَلَى كِبَرِ أَرَى نَسَبِي .. أَرَى عَمْرِي بِهِ قَدْ عَادَ



(١) مَرْحَى : مَرْحَباً .

« الغيره »

وغارت « سارة » منها .. فَطَبَّعُ المرأة ^(١) الغيره
وقالت : تلك جاريتى .. ولى فى زجرها الخيره
تتبه على فى عجب .. فقد حَمَلْتُ ولم ^(٢) أنجب
فَدَعَّهَا لى أعاقبها .. أرى فى عينك الحيره

* * *

^(٣) أَحَسَّتْ « هاجر » بالخوف .. فانسلت إلى البیداء
ونادت ربها تشكو .. وقد لجأت لعين الماء
فأرسل ربها ملكاً .. فَطَمَأْنَهَا .. وبشرها
بأن عودى سيخرج منك « إسماعيل » بالأضواء

-
- (١) ولى فى زجرها الخيره : ولى فى تأديبها الاختيار .
(٢) تتبه على فى عجب : تتفاخر وتتعالى على فى إعجاب بنفسها .
(٣) انسلت : تسللت .

نبيُّ يَـصْطَفِيهِ اللهُ .. يَمْدُدُهُ بِقُوَّتِهِ
يُمَلِّكُهُ مَلِيكَ الْكَوْنِ سَائِرُ مُلُوكِ إِخْوَتِهِ
فَعَادَتْ حِينَ بَشَّرَهَا .. وَلَمْ تَأْبَهُ بِأَخْطَارِ^(١)
فَوْعَدِ اللهِ مَقْضِيٌّ .. وَتَقَوَّاهُ بِطَاعَتِهِ

* * *

وَهَاهُوَ وَعْدُ رَبِّ الْعَرْشِ بِالْإِسْلَامِ حَقَّقَهُ
وَعَمَّ النُّورَ هَذَا الْكَوْنِ مَغْرِبُهُ وَمَشْرِقُهُ
بِدِينِ حَفِيدِ « إِسْمَاعِيلِ » .. « طه » خَاتَمِ الرُّسُلِ
كَبَدَّرَ فِي سَمَاءِ الْحَقِّ رَبُّ الْخَلْقِ أَشْرَقَهُ

(١) لم تأبه : لم تهتم ولم تعباً .

وهذى «هاجر» وضعت.. نبي الله «إسماعيل»
فهنأها.. خليل الله بالتكبير والتهليل
فمولد أول الأبناء أطفأ شوق مهجته
يُقبِّله بروحته... يعود إليه بالتقبيل^(١)

* * *

وتنظر «سارة» للطفل.. ثم الأم في كمد^(٢)
فتضرم نار غيرتها.. ويقسو القلب بالحسد^(٣)
تقول : جعلت جاريتي.. تصير اليوم سيِّدة
تُتَوَّج فوق عرش البيت صاعدة على جسدی

(١) بروحته : حين يتركه ويخرج .

(٢) كمد : غيظ .

(٣) تضرم : تشتعل .

تقول لزوجها : خذها .. وغرَّب وجهها (١) عني
فكيف أطيق رؤيتها .. ويترع كرهاها دلي ؟
شعوري لست أملكه .. فلا لوم علي ضعفي
أتنسى أنني امرأة .. تضيع سعادتي مني ؟

يقول خليل مولاة .. إلهي احترت .. ما أفعل ؟
« فهاجر » أم إسماعيل .. والأمل الذي أقبل
أتركها وأتركه .. وكنت إليه في شوق
« وسارة » كيف أتركها .. لوحدتها .. فما الأفضل ؟

(١) يترع كرهاها دلي : يملأ كرهاها وعاني ويقصد به هنا القلب .

فأوحى الله للمفطور أن بادر إلى « فاران »^(١)
وأن أخذ « هاجراً » والطفل .. شئتُ الخير في الهجران
وعند البيت أسكنها .. بوادي « مكة » الخالي
ولا تحزن .. فربك يكفل البيداء كالعمران -

* * *

وسار بها خليل الله ممتثلاً إلى الوادي
« وهاجر » خلفه تمشي .. وحيرتها كأصفاد^(٢)
تلف رضيعها بالحب .. فالصحراء موقدة^(٣)
لك الرحمن قافلة .. تؤمل في خطا الحادي

(١) فاران : جبال بوادي مكة .

(٢) أصفاد : قيود .

الحادي : الراعي الذي يقود القافلة .

ولاح البيت عن بُعد .. فَمَدَّ الخطو « إبراهيم »
وقال لزوجته مَدَى .. فطفلك هاهنا سيقم^(١)
وعين الله تحرسه .. بهذا البلقع النائي^(٢)
فهذا البيت مبروك .. ويرعى قاصديه رحيم

* * *

وأودعها أمام البيت .. تعلو رأسها دَوْحَةً
فإن البين كالرمضاء مشبوب^(٢) له لَفْحَةٌ
ولكن نار رب العرش ليس كمثلهـا نار
فصبراً يانداء القلب .. تُعْقِبُ مِحْنَةً مِنْحَسَه

(١) البلقع النائي : المكان الخالي البعيد .

(٢) البين : الفراق ، الرمضاء : الصحراء الشديدة الجبر ، مشبوب : متوقد

ولم يترك لها إلا .. سقاء الماء في الظل
بجانبه إناء الثمر للترحال^(١) والحل
ولا زرع ولا ضرع .. ولأماء يجاورها
فإن ينفذ قليل الزاد .. كيف رضاعة الطفل

* * *

وولي الظهر كي يمضي .. فقالت : كيف تهجرنا ؟
أشئت البين يازوجي ؟ .. أم الرحمن يأمرنا ؟
فلم تسمع له ردّاً .. ألحّت مرة أخرى
وثالثة فقال : الله شاء وسوف يأجرنا

(١) الحل : الإقامة (عكس الترحال) .

فَقَالَتْ سِرُّ وَلَا تَحْزَنْ .. فَإِنَّا فِي رَحَابِ اللَّهِ
وَلَيْسَ لَنَا بِهَذَا الْقَفْرِ مِنْ مُتَكَفِّلٍ إِلَّا هُوَ
وَمَنْ يَقْصِدُ جَنَابَ اللَّهِ لَا يَرْكُنُ إِلَى الدُّنْيَا
وَيَكْفِينَا لِدَرِّ الْخَوْفِ أَنْ سَنُعِيشَ تَحْتَ سَمَاءِ^(١)

(١) درء الخوف : إبعاده .

« دعاء إبراهيم .. وإجابة السماء »

وَوَدَّعَهَا خَلِيلُ اللَّهِ .. فِي ثِقَةٍ بِرَبِّ النَّاسِ
يُسَبِّحُ رَبَّهُ الْقَيُّومَ حَتَّى يَطْرُدَ الْوَسْوَاسَ
وَعِنْدَ ثَنِيَّةٍ فِي الْأَرْضِ تَخْفَى عَنْ^(١) نَوَاطِرِهَا
يُنَاجِي اللَّهَ فِي حَزَنِ .. أَلَمَ بِقَلْبِهِ الْحَسَّاسُ

* * *

إِلَهِي يَا مُجِيبَ دَعَاءِ مَنْ يَدْعُوكَ مِنْ قُرْبِ
دَعْوَتِكَ فَاسْتَجِبْ يَا رَبِّ .. أَنْتَ مُفَرِّجُ الْكُرْبِ
لَقَدْ أَسْكَنْتُ مِنْ أَهْلِي .. بَوَادٍ غَيْرَ دِي رَزَاقِ
بِجَانِبِ بَيْتِكَ الْمَأْمُونِ مِنْ سَلْبٍ وَمِنْ حَرْبِ

(١) ثَنِيَّةٌ مَكَانٌ مَنَحْنَى فِي الْجَبَلِ

يقيمون الصلاة به .. إلهي لا تُضيّعهم
وحَبِّبْ فيهم الرُّوَاد .. لا تُوحِش مضاجعهم
وأطعمهم من الثمرات .. واجعل عيشهم رَغَدًا
رزقت الطير في الوُكُنَات .. يارزاق كن معهم^(١)

* * *

وظلّت أم إسماعيل تأكل من إناء التَّمْرِ
وتشرب من سقاء الماء .. حاملةٌ لرب الأمر
تقول إلهي الرزاق أني شاء يرزقني
من الثمرات والسُّقيا .. تُخَفِّفْ لفتح هذا الجمر

(١) الوكنات : بيوت الطير وأعشاشها .

ويا سرعان ما غيضت .. أواني التمر^(١) والماء
وقد ظمأت وعَضُ الجوع في الأحشاء كاللِّداء
وحين ترى صراخ الطفل يخفق قلبها^(٢) فرقا^(٣)
إلهي كن « لإسماعيل » داخل فدفا^(٣) نائي

* * *

على جبل الصِّفا صعدت .. تلمُّ خوائر القوَّة
لتنظر هل ترى أحداً .. بسهلٍ كان أو ربوه
ولكن لم تجد أحداً .. فعادت تقصد الوادي
تهرول في مسالكه .. لتبلغ ذروة « المروه »

(١) غيضت : غارت ونفذت .

(٢) فرقا : خوفا .

(٣) فدفا : أرض غليظه .

ولمّا لم تجد أحداً .. إلى « جبل الصفا » عادت
وقد خارت عزيمتها .. وَجِدَّةٌ خوفها زادت
أهذا القصر منسى .. فلا يمشى به بشرٌ ؟
ألا تأتيه قافلةٌ ؟ .. ولو عن دربها حادت ؟

* * *

وأنهت سبعة الأشواط يائسةً من التكرار^(١)
فليس لهذه الصرماء منذ قدومها زوّار
وشاء الله تخليداً .. لمغزى هذه الذكرى
فألزم سعيها حجاج بيت الله ليل نهار

(١) عن دربها حادت : عن طريقها انحرفت .

(٢) الصرماء : الأرض التى لا ماء فيها .

وعند « المروة » استمعت .. أصوتُ أخافتُ نادى ؟
يناديني ولم أبصر ؟ .. أرْجِع الصوت قد عاد ؟
أَتلك هواجس الإعياء ؟ أم أُملى يراودنى ؟
لأنصت مرةً أخرى .. لعلَّ الله قد جاد

* * *

إذا مَلَكُ يناديه .. إله الخلق أرسله
فَقالت قد سمعت فهل .. أتيت بما أُؤمِّلُه^(١) ؟
فَمَدَّ جناحه في الأرض .. أخرج تحته ماءً
فَهَبَّت أم إسماعيل في الكفَّين تحمله

(١) أؤمله : يراودنى الأمل فى الحصول عليه .

وتسقي منه إسماعيل .. ثم لأجله تشرب
فلولاه لما نصبت .. ولم يصبح لها ^(١) مأرب
أليس الله بشرها .. ببشرى فيه ^(٢) ترقبها ؟
لسوف الماء يسقيه .. ويطعمه فلا يسغب

* * *

وقال لها ملاك الخير : لا تخشى من الضيعة
فإن الله يكفل كل من أعطى له ^(٣) البيعة
وهذى « زمزم » انسكبت .. بأمر منه لن تنضب
فمن يهوى إليها اليوم .. لن يهفو إلى رجعة

(١) نصبت : تعبت ، مأرب : مطلب .

(٢) لا يسغب : لا يجوع .

(٣) لن تنضب : لن ينهى ماؤها .

هنا بيتُ لربِّ العرش .. هل تدرين من يبنيه ؟
خليل الله يرفعه .. وإسماعيل يُسهم فيه
سيأتي الناس أفواجاً .. إذا فرضت زيارته
سيغدو عامراً بأحبة الرحمن هذا التيه

* * *

وعاشوا في رحاب البئر .. والرزاق^(١) يأجرهم
وفي يوم « بمكة » مرَّ بعض الناس من « جرهم »
وكانوا يتغنون الماء من جذباء قاحلة
رأوا في الجو طيراً عاف^(٢) .. فانبهرت نواظرهم

(١) جرهم : قبيلة من قبائل العرب .

(٢) عاف : حام في الجو كما لو كان يدور حول ماء .

وقالوا : لا يعيف الطير إلا فوق بئر الماء
فهيا أرسلوا رسلاً .. تعود بصادق الأنبياء
ولما جاءت الأنبياء تثبت حدسهم ^(١) عجبوا
فكم مروا فما وجدوا المياه بهذه الأنحاء

* * *

وساروا نحو عين الماء قد يحلـسو بها المـبـزـلـ^(٢)
فألفوا أم إسماعيل عند الماء في معزل
فقالوا : تأذنين لنا .. لنسكن هذه البقعة ؟
وإن لم تأذنى نمضى .. لوجهتنا . ولا ننزل

(١) حدسهم : تخمينهم .

(٢) ألفوا : وجدوا .

أجابت : تلك أرض الله .. كيف أردُّكم عنها؟^(١)
وأما العين من حقِّي .. ولا فِئَّة لكم منها
أليس الحق عندكمو .. مَصُونٌ يا بني جرهم؟
وقد قاسيت من ظمياً .. وعن شُرْبٍ فلن أنهي

وقد قَبَلُوا شريطتها .. وها هم أحسنوا الجيرة
فقلت إن ربِّي اختار حقاً أحسن الخيرة
وقد بعثوا لأهلهم .. أهلوا آنسوا الوادي
وعَجَّ القفر بالإنسان والقطعان والميرة^(٢)

(١) فِئَة : نصيب في ثمن مايباع منها .

(٢) عَج : امتلاً ، الميره : الحبوب .

حمدتك ياإله الناس .. قد أفضنى لك الداعي
فكنت مجيب دعوته .. وكنت لأهله الراعى
رزقتهمو بنائى القفر .. والأسباب نائية
وقد آنست وحدتهم .. حمدتك خير سماع

* * *

وشبّ الطفل بينهمو .. فتياً بادی الحُسْن^(١)
سُلاف البئر رواه .. كُتِبَ فارع الغُصْن^(٢)
أحبوه كحب الإبن .. حين رأوا شمائله^(٣)
وصاروا للفتى حصناً .. وما أقواه من حصن

(١) فتيا : شاباً قوياً .

(٢) سلاف : أول مظهر من مائه .

(٣) شمائله : صفاته الحميده .

وأشرب منهم الخبرات في الأعراف والأعمال^(١)
ومن لغةٍ ليعرب قد أحاط بسائر الأقوال
وأصبح ملء عين القوم حين يروح أو يغدو
وفي خَلْق وفي نُحْلُق .. لديهم مضرب الأمثال

* * *

وماتت أمُّ إسماعيل .. ماتت خير معوانٍ
وكانت صدره الحاني .. وكانت عين نُحْنانٍ^(٢)
تَزُوجَ عَـلَّه ينسى .. بزيجته فراق الأم
ولكن كيف ينساها ؟ . أينسى عمره الثاني ؟

(١) الأعراف : عاداتهم وما تعارفوا عليه في حياتهم .

(٢) تحنان : حنان .

أينسى من قضت عمراً .. بنائى القفر ترعاه ؟
ومن قبلت فراق الكل حتى الزوج إلهه ؟
ومن لبست ثياب الصبر .. ماضاقت بها ذرعاً ؟
ومن ظلت له تسعى .. فبارك سعيها الله ؟



« زيارة الخليل لإسماعيل »

نعود إلى خليل الله .. هَزَّ الشوق أوتاره
وَحَنَّ إلى ابنه النائي .. فغادر زوجه « ساره »
وشدَّ رحاله للبيت .. يَتَّبِعُ قلبه عَجَلًا^(١) .
فقد يحظى برؤيته .. ويعرف منه أخباره

* * *

وَدَلَّوْهُ على دارٍ .. فسأله عنه من فيها
فقلت قد مَضَى يسعى .. لحاجاتي ليقضيها
وَلَنْ يَأْتِيَ بما أبغى .. فَإِنَّ الفقر يقهرنا
ولا تعطى لنا الدنيا .. سوى أقسى عواديها

(١) عَجَلًا : متعجلاً .

وأنت الآن ما تبغى ؟ .. أضيفُ حَلَّ بالدارِ ؟
وليس بساحنا زادٌ .. نتوق لرؤية النارِ
ونعجز عن قِرَى الأضياف إن لاذوا بنا خطأً^(١)
وقد فُروا من الرمضاء .. بُغِيَّة مائنا الجارى

* * *

فَهَزَّ الرأس فى أسِف .. فلن يجدى حديث عتاب
وقال إذا رأيته .. بليل بعد سعي^(٢) أب
فقولى : قد أتى شيخ .. وحمَّلنى تحيَّتك
وقال اعقل وصيَّته .. وهياً غير الأعتاب

(١) قِرَى الأضياف : القيام بواجبات ضيافتهم .

(٢) أب : عاد .

ولَمَّا عاد إسماعيل عند حلول موعده
وقد نقلت حليته .. له أقوال^(١) والديه
تأمل في وصيته .. فأدرك سرها الخافي
وأن أباه بلغها .. يُنفذُ أمر مُوجده

* * *

وما هو دون إبطاء .. أطاع وَنَفَذَ الأمرَ
وطَلَّقَهَا فأبدله الكريم حليلة أخرى
توازره وتحفظه .. خلال غيابه عنها
وتلك مَثُوبَةُ الدنيا .. وحوَرُ العَيْنِ في الأخرى

(١) حليته : زوجه .

وعاد أبوه ثانية .. ليسأل عنه في المنزل
فقلت : مرحباً بالضيف .. فوق رءوسنا تنزل
حللت بدار أشراف .. لهم من أصلهم حسب
وحين يجل أضياف .. ترانا خير من يجزل

* * *

فسر فواده منها .. وقال : وأين رب البيت
فقلت في الفلا يضطاد .. من خيرات رب البيت
فأردف : كيف مطعمكم بيداء ومشربكم
أجابت : أكلنا لحم وماء .. خير ما منيت

(١) يجزل يكثر في العطاء

حمدنا الله يا شيخى .. فباركنا . وأعطانا
وهذى بعض نعمته .. وبقاها بأُحرّانا
وإن نحسن عبادته .. بكل دقيقةٍ نحيا
فلن نغنيه يا شيخى .. ولن نكفيه شكرانا

* * *

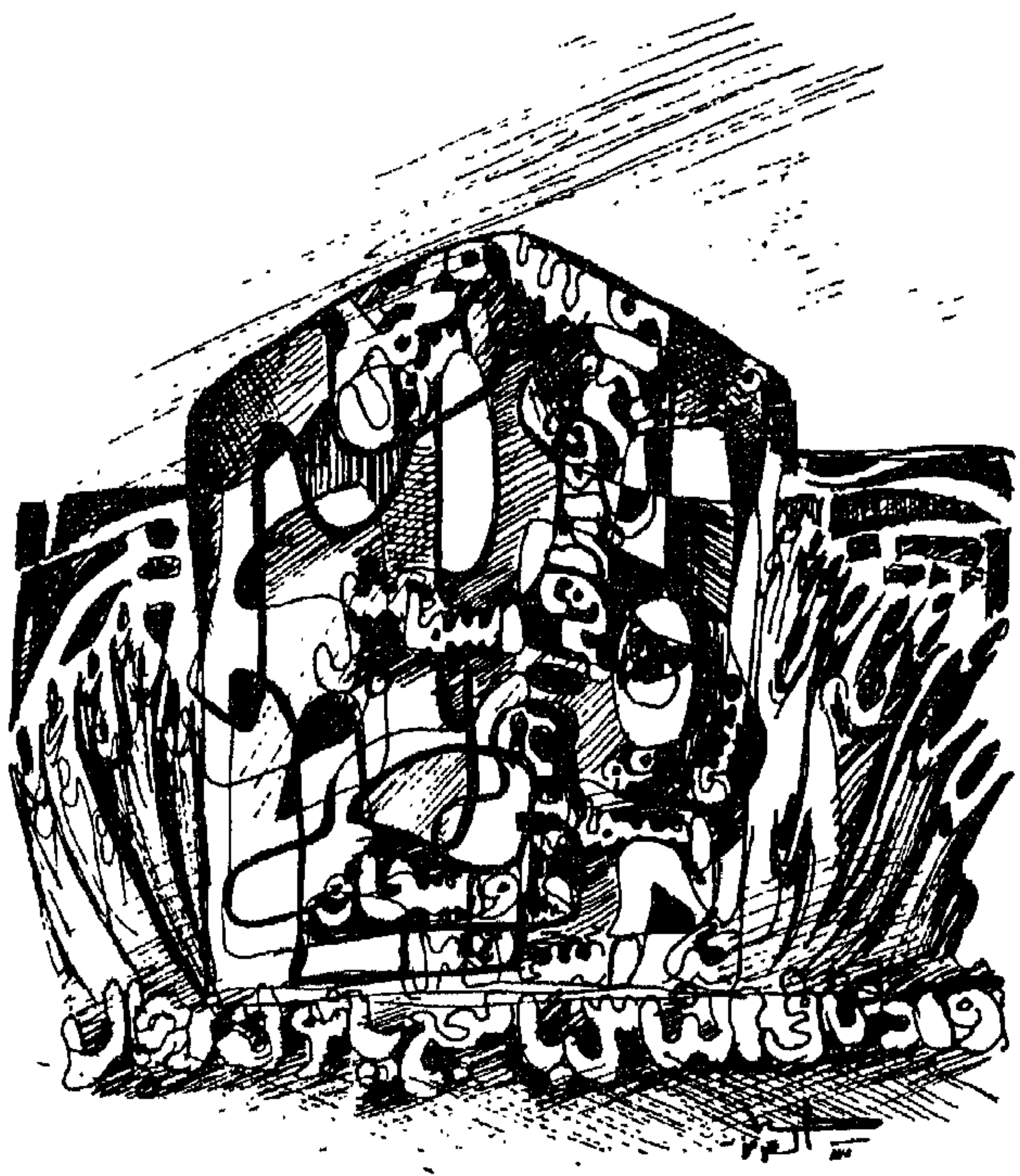
فقال لها إذا ماعاد .. يحمل صيده حَظَبَه
فحييه بما يَرْضَى .. وهبى ^(١) وأمسجى ^(١) تَعَبَه
وقولى : إن شيخاً جاء .. حَمَلَنِي رسالته
بأن كوفئت بالإحسان خيراً .. ثَبَّت العتَبَه

(١) هبى : قومي بسرعة .

ولَمَّا جَاءَهَا نَقَلْتُ .. إِلَى أَسْمَاعِهِ مَا قَالَ
فَقَالَ : صِفِيهِ .. قَالَتْ : أَشِيْبٌ ذُو حِكْمَةٍ مِفْضَالٍ
فَأَرْدَفَ : إِنْ ذَاكَ أُمِّي .. وَقَدْ عَقِلْتُ وَصِيَّتَهُ
يَرَى أَلَّا أَفَرِّطَ فِيكَ .. مَهْمَا كَانَتِ الْأَحْوَالُ

* * *

أَطِيعَكَ يَا أُمِّي عَمْرِي .. فَأَنْتِ تَقُولُ عَنْ رُبِّي
وَأَنْتِ تَرَى بَعَيْنَ اللَّهِ .. مِنْ عَيْنَيْنِ فِي الْقَلْبِ
بَأَمْرِ اللَّهِ قَدْ فَارَقْتَنِي فِي أَشْهُرِي الْأُولَى
عَلَى ثِقَةٍ بِأَنْ غَدَى .. لَدَى الْقِيَوْمِ فِي الْكُتُبِ



« إبراهيم وإسماعيل بينان البيت الحرام »

مضى زمنٌ وسيف الدهر ظلَّ يبيد أياماً
« وإسماعيل » عند البئر للرحمن قواماً
وفي صُبْحٍ شديد الحرِّ .. لاذ بظلِّ أشجارٍ
وجَمَعَ نبله يبرسه .. كي يعطيه إن هاما

* * *

إذا شيخٌ مهيب السَّمت يُقبِل نحوه فرحاً^(١)
أيا سعادته ذاك أرى .. أرى ذا القلب منشرحاً
فعانقه خليلاً الله .. في شوقٍ . يُزلزله
أخيراً قد رأيت ابنسى .. كأنَّ القلب ما جرحاً

(١) مهيب السَّمت : وقور .

تركتك يا منسى الأيـبـام والآلام تعصرنى
وليس لـدىّ إلّا الصبر .. فالـرحـمن يأمـرنى
حزنتُ لأنـسى بـشـر .. عواطفه تـورقـسه
ولكن عشت أدعو الله أن يلقىـاك يـأجـرنى

* * *

فهياً يا سراج العمر نجعل شكرنا عملاً
وفى إخلاص طاعته .. نصوغ لغيرنا مثلاً
فإن الله يأمـرنى .. بأن أبـنـى له يـتـيـاً
وهذا التلّ موضعه .. فهل أحيى بك الأمل

فقال إليك يا أبتى .. أسخر كل أوقاتي
فإني بضعة منك .. ولولا أنت لم آت
أبى فاصدع بما تؤمر .. وإني خير معوان
لعل الله يقبلنا .. ويجزيانا بجنات

* * *

وقامما يرفعان البيت .. قد لاحت قواعده
خليل الله بينه .. وإسماعيل ساعده
يناوله بقوته .. من الأحجار ما ثقلت
أبى يوم ليبنى فيه من عمل يخلده

وبالقطين بيت الله ها هو في الفضا يعلو
ومن حَجَرٍ إلى حَجَرٍ .. يريق ضيائه يجلو
وصوتهما يَشُقُّ الصَّمْت بالنجوى لرَّبهما
تَقْبَلُ ربنا منَّا .. نَذَرْنَا الجهد لا نألو





« رؤيا ذبح إسماعيل »

وبعد بنائه ظنّا .. بأن الأمر قد هاننا
وأنّ كليهما يكفيّه عند الله ما عانسي
ولكن تكثّر البلوى .. من المولى لأحبّاب^(١)
يُمَحِّصُهُمْ لِيُسْكِنَهُمْ .. من الجنّات رضواننا

* * *

فها هو ذا خليل الله يَشْهَدُ محنةً أخرى
يرى رؤيا .. وحين يرى .. نبى صار ذا أمرا
رأى يديه سكيناً .. ويدبح ابنه الغالى
سيفعل طاعةً لله .. يسأل ربّه الصَّبْرَ

(١) يُمَحِّصُهُمْ : يختبرهم لتعويدهم على الطاعة .

تَقَدَّمَ نحو « إسماعيل » .. قال : رأيتُ في نومي
بأنِّي كنت أذبحك .. وليس عليَّ من لوم
فقلُّ ماذا ترى إني .. أريد إجابةً منك
لكي أقوى على فعلٍ .. له قد خفتُ من يومى

* * *

فقال : اصدع بما تؤمر .. سأصبر طيب الصبر
وليس بهم نوع بالموت .. مادام انتهى عمري
أطيع الله يا أبتى .. فليس يريد لى شراً
مشيئة ربنا خير .. ولكن نحن لا ندرى

وسار به وثيد الخطو .. قِيدَ الحزن في القَدَمِ^(١)
أَذْبَحَ عَمْرَى الثاني ؟ .. وأين أَفْرُ من ندمي
حديثك أيها الشيطان .. فإخسأ^(٢) وابتعد عني^(٣)
ولا تسفع بناصيتي .. لهاوية من النِّقَمِ

* * *

تَحَوَّلَ نحو « إسماعيل » .. قد يَنْفَذُ إلى القلب
أَيَقْتُلُ والدَّ ولداً .. أَيْقِضِي الله بالذُّنْبِ
حديثك أيها الشيطان .. فإخسأ وابتعد عني
قضاء الله قبل الخَلْقِ .. قد أَجْرَاهُ في الكُتُبِ

(١) وثيد : بطيء .

(٢) إخسأ : إبعد .

(٣) لاتسفع بناصيتي : لاتأخذ بمقدمة رأسي — كناية عن القهر .

أرى الشيطان مدحوراً .. يَجُرُّ جحافل الحسرة
فقد وافته آمال .. بِنَصْرِ هذه المرة
ولكن عاد مهزوماً .. بسيف البر والتقوى
فليس لديه سلطان .. على الأطهار والبررة

* * *

ولمَّا أَسْلَمَا لله .. تنفيذاً لما قَدَّر
وقد سَمَّى خليل الله في جَهْرٍ وقد كَبَّر^(٢)
فقال استقبل الحصباء يا ولدى ولا تَرْنِي
فقد تَتَحَمَّل الآلام .. إن لم تشهد المنظر

(١) مدحوراً : مهزوماً

(٢) الحصباء : الأرض المفروشة بالحصى الصغير .

فقال أطيع يا أبتى .. إذا السُّكِينُ أَسْعَفَنِي
فهيَّا اذبح ولا تبطئ .. إذا الإيلام أَرْجَفَنِي
وسلِّ مولاي يكتبنى .. شهيداً عنده أحياء
قميصي الآن أخلعه .. فبعد الموت ذا كفني

* * *

وأجرى الوالد السُّكِينِ باسم الله لم تُذْبَحْ
وحاول مرةً أخرى .. برغم الصُّدُقِ لم ينجح
لماذا أيها السُّكِينِ لم تذبح ؟ .. أَلَيْتَ لَهُ ؟
أَتَكْرَهُ أَنْ تَرَى وَلَدِي .. يَبْخُرُ دُمَائِهِ يَسْبَحُ ؟

فَوَادِي أَيُّهَا السَّكِينِ .. أَدْفِن فِيهِ أَوْجَاعَهُ
فَأَمْرُ اللَّهِ يَاسْكِينِ .. لَيْسَ لَهُ سِوَى الطَّاعَةِ
أُحْمَدُهُ عَلَى السَّرَّاءِ .. وَالضَّرَّاءِ تُضْعِفُنَا ؟
فَهِيََا أَذْبَحْ بِأَمْرِ اللَّهِ .. فَالْآمَالِ ظَمَّاعَهُ

* * *

إِذَا صَوْتُ يَهْزُ الْكَوْنِ .. لَا تَنْجِهْ يَا خِلِّي
صَبِرْتَ لِمَا قَضَيْتُ بِهِ .. فَأَنْتَ الْيَوْمَ فِي ظِلِّي
أَتَذَكَّرُ ظِلَّ يَوْمِ النَّارِ .. حِينَ حَمَاكَ مِنْ حَمِيمٍ
فَذَاكَ جَزَاءً مَنْ يُحْسِنُ .. فَدَيْتُ ضِنَاكَ فَاشْكُرْ لِي

تَعَجَّبَ أَنْ أَتَى كَبِشٌ .. عَظِيمٌ أَعْيَنٌ أَقْرَنُ
 فِدَاءُ لَابَنِهِ الْغَالِي .. لِيَسْجِجَهُ وَلَا يَحْزَنُ
 رَحِيمٌ أَنْتَ يَا رَبِّي .. أَحْزَنُ عَلَى مَنْ نَفْسِي
 مَعِينُ الشُّكْرِ فِي قَلْبِي .. وَأُخْرِجُ مِنْهُ مَا أَمْكَنُ

✽ ✽ ✽

فَدَاكَ اللَّهُ « إِسْمَاعِيلُ » . رَبُّ الْفَضْلِ وَالْمِنَّةِ
 بِكَبِشٍ كَانَ مَرْعَاهُ .. خَصِيبِ الرُّوْضِ فِي الْجَنَّةِ
 وَقِيلَ فَدَاكَ بِالْقُرْبَانِ مِنْ « هَابِيلَ » قَرِيبُهُ
 لِأَجْلِكَ ظَلَّ مُحْفُوظًا .. وَبَعْدَكَ لِلْأُلَى سَنَةٌ

(١) أَعْيَنُ : وَاسِعُ الْعَيْنَيْنِ ، أَقْرَنُ : كَبِيرُ الْقَرْنَيْنِ .

(٢) الْأُلَى : لِكُلِّ النَّاسِ

كذب رواية اليهود بأن اسحق هو الذبيح

وقيل قرونه ظَلَّتْ .. قرونًا تُسْكُنُ الكعبةُ
إلى الإسلام بل ظَلَّتْ .. بُعِيدَ شروقه حِقْبَةُ
لتشهد أن « إسماعيل » صاحب قصة الذبيح
وأن رواية « التوراة » عن « إسحق » ذى كِذْبَةٍ

* * *

تقول بأن أمر الله كان بذبح « إسحق »
وإن الكباش فِدْيَتُهُ .. ليحيا بعد ما لاقى
وقد كذبوا .. وفى القرنين للأشهاد إثبات
« فمكة » مارأت « إسحق » حين صباه إطلاقا

(١) بُعِيدَ شروقه : بعد ظهوره بفترة قصيرة .

وكيف يُصَدِّق المذبح أن سَيُنْفَذ الأمر
وقد سبقت من المولى .. به ونسله البشري
ولكن تلك دعواهم .. لهم تلبس^(١) ماشاءوا
كفانا ديننا الإسلام .. قد حُزننا به القدر

* * *

كفانا المصطفى الهادي .. ختام الرسل كلهم
وخير الخلق قاطبة .. من الأعراب والعجم^(٢)
شفيع الناس يوم العرض .. يوم يَعِزُّ من يشفع
ويُلْقَى كلُّ مُتَّبِع .. على المتبوع بالثهم

(١) تلبس : خلط الحق بالباطل .

(٢) قاطبة : كلهم .



« لوط وأهل سدوم »

نعود إلى نبي الله « لوط » بين أهل « سدوم »
رأى منهم من الفحشاء ما قد أغضب القيوم
وَوَظَّنُوا أَنَّ دَنِيَاهُمْ .. لأجل الفسق قد خُلِقْتُ
وَأَنَّ حَيَاةَ لَدِّيهِمْ .. برغم نبيهم ستدوم

* * *

فقد هتكوا حياء الطهر .. في النادی وفي الشارع
وقد جَهَرُوا بِمُنْكَرِهِمْ .. وقد سَخَرُوا مِنَ الشَّارِعِ
وقد قَطَعُوا طَرِيقَهُمْ .. وقد خَانُوا رَفِيقَهُمْ
وَصَارَ الْفُحْشُ دَيْدَنَهُمْ .. فَمِنْ جَانٍ وَمِنْ شَارِعٍ^(١)

(١) ديدنهم : طبعهم الدائم ، فمن جان ومن شارع : فمن مرتكب للفحشاء
ومن شارع في ارتكابها .

تَمَكَّنَ مِنْهُمُ الشَّيْطَانُ .. فابْتَدَعُوا مِنَ الْمُنْكَرِ
سَوَاداً فِي ذُرَا الْفَحْشَاءِ .. فِي الْأَسْلَافِ لَمْ يَظْهَرْ
فَقَدْ هَجَرُوا نِسَاءَهُمْ .. وَبِالذُّكْرَانِ قَدْ شَغَفُوا
فَنَزَوْتَهُمْ كَنُخُوتِهِمْ .. لَغِيرِ السَّوِّءِ لَا تَوَثَّرُ

* * *

إِلَهِي إِنَّهُمْ بَشَرٌ .. لَهُمْ بَرٌّ وَسُهُمْ أَحْلَامٌ^(١)
وَقَدْ كَفَرُوا بِنِعْمَتِهَا .. فَهُمْ أَدْنَى مِنَ الْأَنْعَامِ
فَلَا عَقْلٌ لَدَى الْأَنْعَامِ لِلْخَيْرَاتِ يَرْشُدُهَا
وَأَمَّا الْقَوْمُ رَغِمَ الْعَقْلُ .. هَاهُمْ فَضَّلُوا الْآثَامَ

(١) أحلام : عقول .

يناديهم نبي الله .. يا قومي اعبدوا الرحمن
ويا قومي دَعُوا الفحشاء .. تلك غواية الشيطان
ولست أريد من أجري .. فأجري عند مُرسلني
أخاف عليكم الويلات .. إن واصلتم العصيان

* * *

فما استمعوا لدعوته .. وما اهتزوا وما تابوا
ودون قلوبهم سُدَّت .. أمام الحق أبواب
بل ازدادت غوايتهم .. وفاض بكيلهم فُحشٌ^(١)
فَهُم للْفُجْر أَخْدَانٌ .. وللشيطان أَحْبَابٌ

(١) أَخْدَانٌ : ملازمون ومصاحبون .

وقالوا أخرجوا « لوطاً » .. وأهليه من القرية^(١)
فقد لبسوا ثياب الطُّهر .. هل سَتَظِلُّ في مِرْيَةٍ ؟
وكيف تُظِلُّ قريتنا .. مع الفُجَّار أطهاراً^(٢) ؟
رأينا في الفجور غنى .. رأينا الطهر كالْفِرْيَةِ

* * *

معاذ الله من قول .. ينافس فعلهم في الغنى^(٣)
معاذ الله من ظَلَمٍ .. تُوارى بارقات الضى
أما يكفي اقتراف الإثم في سِرٍّ وفي جَهْرٍ ؟
أيغدوا الطُّهر بهتاناً ؟ .. فأى الإفك هذا أى

(١) مريه : شك .

(٢) فريه : كذبة .

(٣) توارى : تخفى .

(١) وسىء بهم نبيهمو .. وضاق بكفرهم ذرعاً
ففى بُورٍ أطلال البذر .. لم يهنا بما زرعاً
فناجى الله أن يُنجاه من صرماء قاحلة
بها شوكٌ به شوق .. ليُدِمى الطُّهر والورعاً

* * *

أجاب الله دعوته .. وبلغه بها قصده
فأقسم أن لِيُهْلِكهم .. ويُنجى منهم عبده
فقد ظنوا نذيرهمو .. بكل وعيده يهذى
وقد سخرُوا مِنَ الْجَبَّار .. بل واستعجلوا جُنْدَه



(١) سىء بهم : استاء منهم .

« البشرى بإسحق »

وَأَرْسَلَ رَبُّنَا رَسُولًا .. وَقَدْ مَرُّوا بِإِبْرَاهِيمَ
فَقَدْ حَمَلُوا لَهُ الْبَشْرَى .. بَغِيْبٌ فِي كِتَابٍ عَلِيمٍ
وَجِئُوهُ فَحَيَّاهُمْ .. وَهَبْ لَكَ يُضَيِّفُهُمْ
فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ عُرِفَتْ .. ضِيَافَتَهُ لِكُلِّ مُقِيمٍ

وَرَاغَ لِأَهْلِهِ وَأَتَى .. بِعَجَلٍ طَيِّبِ الْمَأْكَلِ
وَقَرَّبَهُ فَمَا أَحَدٌ .. أَعَادَ يَدِيهِ أَوْ وَصَّلَ
فَأَوْجَسَ خِيفَةً مِنْهُمْ .. وَظَنَّ ظَنُونَهُ فِيهِمْ
فَمَنْ أَنْتُمْ ؟ أَجِيبُونِي .. لِمَاذَا وَفَدُّكُمْ أَقْبَلَ

أجابوا : لا تَخَفُ إِنَّا .. ملائكةٌ من الرحمنِ
 وأَرْسَلْنَا لأهل « سدوم » .. يجزيهم على العصيانِ
 وتضحك « سارة » فرحاً .. بِنَصْرِ اللَّهِ يُظْهِرُهُ
 فقالوا : أبشِري دوماً .. أخيراً تُثْمِرُ الأغصان

* * *

لَكَ البشري « يأسحق » .. ويأتي بعده « يعقوب »
 فَصَكَّتْ وَجْهَهَا عَجَباً .. وقالت : هل صباى يؤوب^(١) ؟
 عجوزٌ عشتُ في عِقمٍ .. فكيف يكون لي وَلَدٌ ؟
 وَبَعْلِي قد غدا شيخاً .. أياي الفجر بعد غروب^(٢) ؟

(١) صكت وجهها : ضربت وجهها ، يؤوب : يعود .

(٢) بعلى : زوجي .

فَقَالُوا تَعْجَبِينَ الْيَوْمَ .. مِنْ أَمْرِ رَبِّ الْكَوْنِ
بِغَيْرِ أَيْ وَلَا أُمَّ .. كَفَى لِلْخُلُقِ لَفْظُ الْكَوْنِ^(١)
عَلَيْكُمْ أَهْلَ بَيْتِ اللَّهِ رَحْمَتُهُ وَبُورِكُمْ
فَمَا دُمْتُمْ بِعَوْنِ النَّاسِ .. يَجْزِيكُمْ بِخَيْرِ الْعَوْنِ

* * *

« وَإِبْرَاهِيمَ » فِي عَجَبٍ .. يَنَادِي آدَنِي هِرْمِي^(٢)
هَلِ الْبَشَرَى عَلَى هِرْمَى .. أَمْ الْبَشَرَى عَلَى سَقَمَى ؟
فَقَالُوا : إِنَّا بِالْحَقِّ قَدْ جِئْنَاكَ . لَا تَقْنَطُ^(٣)
فَقَالَ لَهُمْ : مَعَاذَ اللَّهِ .. كَيْفَ تُضِلُّنِي قَدَمَى ؟

(١) كَفَى لِلْخُلُقِ لَفْظُ الْكَوْنِ : قَوْلُ اللَّهِ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ .

(٢) آدَنِي : أَعْجَزَنِي .

(٣) لَا تَقْنَطُ : لَا تَيَاس .

فحين صباى كان معى .. فلم أُحرقُ بجوف النار
وفى « فاران » كان معى .. فأكثُر لابسى الزُّوار
وعند البيت كان معى .. رَفَعْتُ بناءه وحدى
وحين الذَّبْح كان معى .. فقلَّ سلاحى البتار

! إني اليوم أرجوه .. بملء القلب أن يعفو
فبين « سدوم » من يؤمن .. ومن للحق قد يقفو^(١)
فقالوا : كلهم كفروا .. ومافى هديهم أمل
فقال : فينهم « لوط » .. إلى إيمانهم يهفو

(١) يقفو : ينبع .

أجابوا : ذاك أمر الله في الكفار قد أُصْدِرَ
فَهُمْ لِلشَّرِّ قَدْ زَرَعُوا .. وَحَنَظِلْ شَرُّهُمْ أَثْمَرُ^(١)
تُجَادِلْ يَا خَلِيلَ اللَّهِ .. مِنْ حَلِيمٍ وَمِنْ عَظِيمٍ
فِيَا أَوَاهُ .. حَلِيمَ اللَّهِ كَانَ عَلَيْهِمْ أَكْبَرُ^(٢)



(١) حنظل : نبات شديد المراره .
(٢) أواه : رقيق القلب شديد الحساسيه .

« إهلاك أهل سدوم »

وساروا نحو أرض « سدوم » تنفيذاً لأمر الله
لِيَلْقَى كُلٌّ مِنْ فِيهَا .. حصائد ما جَنَّته يده
وصاروا مثل فتيان .. يضيء الحسن طلعتهم
لتكمل حُجَّة المولى .. على فُجْرِ يفوق مداه

* * *

وفيها قابلوا « لوطاً » .. فقالوا : إننا أضياف
ونأمل أن تُضيِّفنا .. علمنا أنك المضيف
فقال : حَلَلْتُمْ أَهْلاً .. ودارى اليوم داركم
ولكن هذه بليد .. تُسَنِّمُ أَهْلَهَا الإجحاف^(١)

(١) تسنم : اعتلى وركب كناية عن بلوغهم من الظلم مبلغه .

أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ .. مَخَازِيِ الْإِثْمِ وَالْعَسْكَانِ
فَهُمْ فِي الْفُحْشِ قَدْ غَرَقُوا .. وَبَاعُوا النَّفْسَ لِلشَّيْطَانِ
يَشْتُقُّ عَلَيَّ مِنْهُمْ .. فَلَيْسَ لِمَلَّتِي حَزْبٌ
فَأَكْفِيكُمْ شُرُورَهُمْ .. وَأُقْقِدُهُمْ عَصَا الْعَصِيَّانِ

* * *

فَقَالُوا لَا تَخَفْ مِنْهُمْ .. وَتُحْذِنَا الْآنَ لِلدَّارِ
وَلَا تُخَيِّرْ بِنَا أَحَدًا .. إِذَا سَأَلُوكَ بِلِ دَارِي
وَإِنْ عَلِمُوا بِرَغْمِ الْحَرَصِ وَالسَّكْتَانِ لَا تَقْلُقْ
تُحِذِ الْأَسْبَابَ ثُمَّ اتَّسِرْ .. مَلَكَ الْأَمْرِ لِلْبَارِي^(١)

(١) مَلَكَ الْأَمْرِ : قَوَامُهُ وَجَوَاهِرُهُ .

ورغم الحرص ها قد راحت الأنخبار للأشراز
فمن فيه إلى أذن .. سرث في الجار تلو الجار
وقيل امراته الشمطاء قد حملت أمانته
فباعثها إلى الفجار .. فاستبقوا رحاب الدار^(١)

* * *

وهاج الطيش بين الجمع وانساقوا لنزوتهم
وخاطبهم نبي الله .. حاول كبس ثورتهم
فنادى : إنهم ضيفي .. فهل ترضون أن أفضح
فضاحوا : أنت تعرفنا .. فكيف ضياع فرصتهم ؟

(١) استبقوا : تسابقوا .

فَقَالَ : نَسَاؤُكُمْ خَيْرٌ .. لِأَن حَلَالَكُمْ أَطَهَرُ
وَمَنْ قَدْ قَارَفَ الْفَحْشَاءَ فِي سِتْرِ .. فَلَا يَجْهَرُ
أَمَّا فِي الْقَوْمِ مِنْ رَجُلٍ .. رَشِيدٍ كِي يَرَاكُمْ
فَقَالُوا : قَدْ زَهَدْنَا هُنَّ .. نَبْغِي لَذَّةً أَكْبَرَ

* * *

(١) أَخَالَ الْأَرْضَ قَدْ غَضِبَتْ .. وَمِنْ هَذَا الْفَجْورِ تَمِيدُ
أَخَالَ مَدَائِنًا ضَبَّجَتْ .. أَخَالَ صَوَاعِقًا فِي الْيَدِ
أَخَالَ الطَّيْرَ فِي الْوُكُنَاتِ .. تَصْرُخُ مِنْ فُظَائِعِهِمْ
أَخَالَ كَوَاسِرَ الْبَيْدَاءِ .. لَجَّجَتْ فِي عَوَاءٍ وَعَيْدُ

(١) تميد : تميل وتهتز .

وهما هو ذا نبى الله قد ضاقت به الحيلة
وأفرغ كل طاقتيه .. فَبَتَّ لربه قِيلَهُ
إلهى ليس لى ركنٌ .. سواك يَصُدُّهم عَنِّى
فإنَّ عدوك الشيطانَ أَلْبَسَهُمُ أَباطيلَهُ

* * *

وحينئذ رأى الأضياف أنَّ الوقت قد حانَ
لكى تجلوا حقيقتهم .. فَيَسْعُدُ بعد ما عانسى
فقالوا إِنَّنا رُسُلٌ .. إله الكون أَرْسَلَنَا
لِنَهْلِكَهُم بما كفروا .. وننصر فيك إيماننا

فبادِرْ في سواد الليل .. واخْرُجْ من بلاد القوم
وُخِذْ أَهْلِيكَ وَاتَّبِعْنَا .. وَلَا يُلْهِيكَ عَنَّا نَوْمٌ
وَسِرُّ لَا تَلْتَفِتْ لِلْخَلْفِ .. أَنْتِ وَكُلُّ مَنْ مَعَكَ
وَمَنْ يَنْظُرُ فَلَنْ يَفْلِتَ .. وَلَيْسَ لَهُ عَلَيْنَا لَوْمٌ

* * *

وليس هناك بعد اليوم إمهال لأهلك
سينجو اليوم من يؤمن .. ويهلك من يعاديك
فإنَّ الله قد أَمْلَى .. لزوجك علَّها تَرْجِعُ^(١)
وموعِدتكم سفور الصُّبح .. يردِّها ويرضيك^(٢)

(١) أَمْلَى : أمهل وصبر .

(٢) سفور : ظهور ، يردِّها : يهلكها .

وسار بأهله ليلاً .. وكل القوم قد هَجَعُوا^(١)
ويسبقه الملائك في دياجي الليل قد لمعوا
نجومٌ يستضيء بها .. وتلاً ركبته أمنساً
بأمر الله قد وفدوا .. بأمر الله قد رجعوا

* * *

ولمّا أصبحوا منها .. على بُعْدٍ به مأمِنُ
أتاها الأمر فانهدمت .. ولم يفلت بها مسكِنُ
وعاليها بأمر الله أضْحَى تحت سافلها
فقد كانت مواخيراً .. وهما هي ذى لهم مَدْفَنُ^(٢)

(١) هَجَعُوا : ناموا .

(٢) مواخيراً : أماكن للذيله .

وَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ حَجَارَةً صَمَاءً سِجِّيلًا^(١)
مَنْضِدَةً^(٢) مُسَوِّمَةً .. تَذِيقُ الْقَوْمَ تَنْكِيلًا^(٣)
تَكَادُ تَقُولُ ذُوقُوا الْيَوْمَ عَاقِبَةَ لَكُمْ فَكَّرْكُمْ
فَإَيْنَ فَرَارِكُمْ مِنْنِي .. أَتَسْتَطِيعُونَ تَحْوِيلًا^(٣) ؟

* * *

وَتَنْظُرُ زَوْجَهُ لِلْخَلْفِ .. غَافِلَةً عَنْ التَّحْذِيرِ
فَذَاقَتْ مِثْلَمَا ذَاقُوا .. حَصَادَ الْكُفْرِ سَوْءَ مَصِيرِ
فَقَدْ أُعْطِيَ لَهَا الرَّحْمَنُ فُرْصَتَهَا لَكِي تَرْجِعَ
وَلَمْ تَرْجِعْ فَهَلْ تَنْجُو ؟ .. وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ تَسِيرُ ؟

(١) السجّيل : الحجارة الكبيرة الشديدة .

(٢) مَنْضِدَةٌ : أى يتبع بعضها بعضا فى النزول عليهم .

مسومه : أى معلمه كل حجر مكتوب عليه اسم من ينزل عليه .

(٣) تستطيعون : وإنما حذف التاء لضرورة الوزن .

وَحَلَفَ رَبُّنَا لِلنَّاسِ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ عِبْرَةً
مَدَائِنَهُمْ غَدَتِ مُسْتَنْقَعًا أَنْحَاؤُهُ تُكْرِهُ
يَرَاهُ النَّاسُ فِي الْإِبْكَارِ وَالْآصَالِ مَوْعِظَةً
يُرُونَ جِزَاءَ مَنْ كَفَرُوا .. بِمَالِكَ مُطْلَقُ الْقُدْرَةِ

* * *

يَرَى مَنْ عَاشَ لِلدُّنْيَا .. إِلَى مَا تَنْتَهِي الدُّنْيَا
نَهَائَتَهَا إِلَى عَدِيمٍ .. كَمَا يَصْحُو مِنَ الرُّؤْيَا
فَإِنَّ الْمَرْءَ يَدْخُلُهَا .. وَيُخْرِجُ عَارِي الْجَسَدِ
وَتَفْتِنُهُ دُنَايَاهَا .. لِذَلِكَ سُمِّيَتْ دُنْيَا^(١)

(١) دُنْيَا : عَكْسُ عَلِيَا .



— ۱۲۰ —

« إبراهيم أبو الأنبياء »

أيا ابن شقيق خلّ الله .. يا فرع لذاك النهر
أفضت بترية صماء لم تشرب .. فعزّ الزهر
وعمك قد أطال الرى فى أخرى فلم تثبت
ولم يأس .. فأحيا الله تربته لقاء الصبر

* * *

حباه الله « إسماعيل » .. ثم حباه « إسحق »
نبين من الرحمن .. زادا الحق إحقاقا
ومن « إسحق » « يعقوب » النبى .. ومن سلالة^(١)
نبى الله « يوسف » ورث « الأسباط » إشراقا

(١) الأسباط : هم الإثنتا عشرة قبيلة من أبناء يعقوب الإثنى عشر .

وَمِنْ تَسْلُ الْخُلِيل أَتَى .. خَلِيفَة صَبْرَه « أَيُوبُ »
« وَذُو النُّونِ » الَّذِى مِنْ جُوفِ حَوْتٍ فِي الْعَبَابِ يُؤُوبُ^(١)
أَتَى « مُوسَى » كَلِمَ اللَّهِ .. ثُمَّ وَزِيرَه « هَارُونَ »
أَتَى « دَاوُدَ » ذُو الْأَيْدِ الْمُسَبِّحِ فِي ضُحَى وَغُرُوبِ^(٢)

* * *

وَمِنْهُ أَتَى « سَلِيمَانَ » الَّذِى قَدْ حَدَثَ الطُّيْرَ
وَأَجْرَى الرِّيحَ .. بِلِ وَالْجَنِّ لَمْ يَخْلَفْ لَهُ أَمْرًا
كَذَا مِنْ نَسْلِهِ « إِبْرَاهِيمَ » .. وَالْيَسَعَ .. وَزَكَرِيَّا «
« وَيَحْيَى » بَعْدَ « زَكَرِيَّا » وَكَانَ بِأَهْلِهِ بَرًّا

(١) ذُو النُّونِ : نَبِىُّ اللَّهِ يُونُسَ .

(٢) ذُو الْأَيْدِ : صَاحِبُ الْقُوَّةِ .

كذا من نسله « عيسى المسيح » أتى بغير أب
وكلّم أهله في المهد .. بشرهم ببعث نبي
وأبرأهم من العِلّات .. بل أحيّا لهم موتى
وقد أنجاه من أنشاه .. من نُصِبٍ ومن نُصِبٍ^(١)

* * *

وأفضل نسله طراً .. أتى من نسل « إسماعيل »^(٢)
بختام المرسلين الغر .. حامل مُحْكَم التَّزِيلِ^(٣)
« محمد بن عبد الله » .. خير الناس قاطبةً
له القرآن معجزةً .. مُخَلَّدَةٌ لأفضل جيل

(١) نُصِب : من الصليب المعلق عليه ، من نُصِب : من تعب .

(٢) طراً : على الإطلاق .

(٣) الغر : أصحاب المقام الرفيع .

خليل الله يا من عشتَ عمراً تُشُدُّ الإنجابُ
لِتَبْقَى دعوة التوحيد .. ليس لنصرة الأنسابُ
فأعطاك الكريم النُّسل .. بل وحباك مَكْرَمَةً^(١)
ورزق الله حين يشاء .. يُهْمِيهِ بِغَيْرِ حَسَابِ

* * *

غَدَوْتُ لَأَنْبِيَاءِ اللَّهِ بِعَدِكَ يَا خَلِيلَ أَبَا
وَزَهْرِكَ عَطَّرَ الدُّنْيَا .. وَنُورِكَ يَا خَلِيلَ رَبِّ^(٢)
بَنَسْلِكَ دَعْوَةَ التَّوْحِيدِ .. رَبُّ الْعَرْشِ أَعْلَاهَا
أَمَامَ الْحَقِّ جَيْشُ الشُّرْكِ .. فِي كُلِّ الْعَصُورِ كَبَا^(٣)

(١) يهيمه : ينزله .

(٢) ربا : زاد .

(٣) كبا : تعثر وانهم .

« خاتمة »

خليل الله يا من كنت في ثقل الثقى أمّة^(١)
وكنت إمام كل الناس .. يهدي الله من أمّة
دعوت الناس للإسلام والإحسان في التقوى
ورغم تطاول الكفار لم تفر بك الهمّة

* * *

خليل الله يا من عشت ترفع راية التوحيد
وفي العمران كنت لها .. وكنت لها يطن اليد
جهرت بأن رب الكون رب واحد صمد
ولو في الكون آلهة .. تُسيّره سواه يبيد

(١) أمّة : قدوة ومعلم للخير ، ولأن قوام الأمة كان به .

نَصَفَتِ الْعَقْلَ فِي الْإِنْسَانِ مِنْذُ الْأَعْصَرِ الْأَوَّلِيِّ
نَسَخَتْ بِدَعْوَةِ التَّوْحِيدِ فِكْرًا لَيْسَ مَعْقُولًا
يَصُوغُ مِنَ الصُّبُحِ وَاللَّيْلِ وَالْأَجْزَامِ^(١) آلهَةً
مَظَنَّةً أَنَّهَا فِي الْكَوْنِ صَاحِبَةُ الْيَدِ الطَّنْوَلِيِّ

* * *

فَجِئْتُ لِتَوْقِظِ التَّفْسِيرَ فِي مَنْ أَبْدَعَ الْأَجْزَامَ
وَمَنْ فِي الْأَفْقِ عَلَّقَهَا .. وَسَيَّرَهَا بِخَيْرِ نِظَامٍ
وَمَنْ فِي اللَّيْلِ سَخَّرَهَا .. لِكَيْ يَهْدِيَ بِهَا السَّارِيَ
وَمَنْ لَوْ شَاءَ أَحْرَقَهَا .. إِذَا اخْتَلَّتْ وَعَمَّ صَدَامُ

(١) الأجرام : النجوم والكواكب .

وَجِئْتُ لَتَوْقِظَ التَّفَكِيرَ .. فِي مَنْ جَلَمَدَ الْأَحْجَارُ
وَمَنْ لَوْ شَاءَ شَقَّقَهَا .. وَأَجْرَى بَيْنَهَا الْأَنْهَارُ
وَمَنْ لِلْإِنْسِ طَوَّعَهَا .. فَشَيَّدَ بَيْتَهُ مِنْهَا
وَمَنْ فِي الْبَسَدِ سَخَّرَهَا .. لَتَلَفْتَهُ لِأَوَّلِ نَارِ

* * *

وَجِئْتُ لَتَوْقِظَ التَّفَكِيرَ .. فِي مَنْ صَوَّرَ الْإِنْسَانَ
مَهِينًا الْمَاءَ فِي الْأَرْحَامِ خَلَقَهُ بَدِيعَ كَيَانِ
وَمَلَّكَهُ زَمَانَ الْكَوْنِ .. إِذْ بِالْعَقْلِ مَيَّزَهُ
وَحِينَ يَشَاءُ يَقْبِضُهُ .. يَصِيرُ كَأَنَّهُ مَا كَانَ

(١) جَلَمَدَ الْأَحْجَارَ : جَعَلَهَا لِجَامِدَةٍ صَمَاءَ .

(٢) مَهِينِ الْمَاءِ : الْمَاءُ الْمَلْقَى الَّذِي لَا قِيَمَةَ لَهُ .

خليل الله بالرضوان طِبُّ نفساً .. فقد وَفَّيْتُ
بَنَيْتَ البيت .. بل وبنيت عُبَاداً لِرَبِّ البيت
وعِشْتَ تطيع رَبَّ البيت .. في اليسرى وفي العسرى
وكان جزاء ما وَفَّيْتُ .. أن أُعْطِيتَ ما مَنَّيْتُ

* * *

^(١)
تَحَدَّرَ نورك الألاق .. في أبنائك البررة
وظَلَّتْ دعوة التوحيد .. في الأحفاد مُنْتَشِرَةٌ
وروحك حولها تَسْعَى .. وتَدْعُو فوق رايتهَا
إلى أن جاء مِسْكُ السَّنْسَل .. ينشر ريحه العَطِيسَةُ

(١) تحدر نورك الألاق : انحدر نورك الشديد التألق .

فراعى حُرمة الأنساب .. رغم تعدُّ الأديان^(١)
ولم يُقَسِّر على الإسلام .. من يعنو إلى الدِّيان^(٢)
وتحت مظلة الإسلام .. عاش الكل في أمن
يهود أو مسيحيون .. إلا عابدا الأوثان

* * *

خليل الله هل يرضيك فعل الدهر في الأحفاد
خلاف دائم التجديد .. تسقى شوكة الأحقاد
خلاف حول أعراض .. تخادعهم بها الدنيا^(٢)
لتفتنهم عن الآخري .. وتلهيهم عن الميعاد

(١) يعنو : يخضع ويذل .

(٢) أعراض : شئون دنيوية .

بدارك هاهم الأحفاد .. يطرد بعضهم بعضاً
بدارك ها هو الشيطان .. يفرض رجسه فرضاً^(١)
بدارك بعضهم شبعوا .. وأفنوا المال في ترف
وعض الجوع في الخيمات .. بعضاً مهذراً عضاً

* * *

بدارك هاهم الأحفاد .. قد حملوا على الإسلام^(٢)
وهاهم أعملوا الإشتات .. بين جنوده الأعلام^(٣)
فقال الرأى بينهمو .. وأمسى جمعهم بدداً
وقال السيف بينهمو .. وقول السيف شرُّ كلام

(١) رجس : أمور يستقبحها الشرع .

(٢) الإشتات : التفريق .

(٣) قال الرأى : ضعف .

(١) غُثَاء السَّيْلِ يُشْبِهُهُمْ .. فَمَا تُغْنِيهِم الْكَثْرَةُ
وَقَدْ مَالُوا عَنِ الْأَعْمَالِ .. لِلْأَقْوَالِ وَالنُّعْرَةِ
وظَنُّوا أَنْ نِسْبَتَهُمْ .. إِلَيْكَ الْيَوْمَ تَكْفِيهِمْ
أَمَّا عَلِمُوا بِأَنْ إِلَيْكَ .. لَمْ يُنْسَبْ سِوَى الْبَرَّةِ ؟

* * *

أَعِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْعَرْضِ .. بَيْنَ النَّاسِ أَنْسَابُ ؟
وَكُلُّ ذَاهِبٌ فَرْدٌ .. لَهُ فِي لَوْحِهِ الْبَابُ^(٢)
فَلَا مَالٌ وَلَا وَلَدٌ .. وَلَا جَاهٌ وَلَا حَسَبٌ
يُذَكِّرُهُم بِهَا الْقُرْآنُ مَا عَاشُوا فَهَلْ تَابَسُوا ؟

(١) غُثَاء السَّيْلِ : مَا يَحْمِلُهُ السَّيْلُ مِنْ زَيْدٍ كَثِيرٍ وَوَسْخٍ لَا قِيَمَةَ لَهُ .

(٢) لَوْحُهُ : كِتَابُهُ الْمَحْفُوظُ عِنْدَ اللَّهِ .

خليل الله قُمْ لِبَنِيكَ .. وارفع دعوةً أخرى
إلى الرحمن يهديهم .. كما أهداهم الثَّمَرَ
ويبعد عنهم الشيطان .. إنسيّاً وجَنِيّاً
ويجمعهم على الإسلام .. روح الوحدة الكبرى

* * *

فها هي ذى قُوى الإلحاد .. يعوى ريحها الأغبرُ
لِيُغْرِقَ أُمَّةَ التوحيد .. فى بحر الدِّمِ الأحمرِ
ويُرْجِعُ سطوة « النمرود » فى « لينين » صارخةً
ليغدو إسم ربِّ الناس .. بين الناس لا يُذَكَّرُ

إلهى إنَّ صوت الحق كاد بأرضه يُخبو
وليس سواك يا الله نسأله لكى ننجو
بِقِلَّةِ حيلةٍ لُدْنَا بِبابك لا تُخَيِّبْنَا
وَأَزِرْنَا وَوَفَّقْنَا .. إلهى إننا نرجو !!

* * *

إلهى قد حَمِيَّتْ « الْخِلْ » من نارٍ فَلَمْ تُحْرِقْ
وقد عَبَّرَ « الْكَلِيمُ » البحرَ مُرْتَجِلاً فَلَمْ تُغْرِقْ
أَلَا فَاِنْقَذَ بنى الإسلامِ مِنْ حَرْقٍ وَمِنْ غَرَقٍ
لِتَبْقَى دعوة التوحيد دوماً تَمْلَأُ الْمَشْرِقَ !!

(١) الْكَلِيمُ : نَبِىُّ اللَّهِ مُوسَى الَّذِى كَلَّمَ اللَّهُ .

الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
|--|--------|
| الإهداء | ٣ |
| تقديم بقلم الدكتور / محمد رجب الیومی | ٥ |
| مقدمة المؤلف | ١١ |
| مولد الخلیل | ١٧ |
| إثبات الوصول إلى الله بالعقل | ٢٣ |
| حواره مع أبيه | ٢٩ |
| حواره مع قومه | ٣٥ |
| تخطیم الأصنام | ٤١ |
| المحاكمه | ٤٥ |
| قذفه فی النار | ٥١ |
| حواره مع النمرود | ٥٩ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| هجرته إلى بلاد الشام | ٦٣ |
| سفره إلى مصر | ٦٧ |
| عودته إلى فلسطين | ٧٥ |
| حُبُّ الاستطلاع عنده | ٧٧ |
| نزوح نبي الله لوط إلى سدوم | ٨١ |
| مولد نبي الله إسماعيل | ٨٥ |
| الغيره .. | ٨٩ |
| دعاء إبراهيم .. وإجابة السماء | ٩٧ |
| زيارة الخليل لإسماعيل .. | ١٠٩ |
| إبراهيم وإسماعيل يبنيان البيت الحرام .. | ١١٧ |
| رؤيا ذبح إسماعيل | ١٢٣ |
| كذب رواية اليهود بأن إسحق هو الذبيح .. | ١٣١ |
| لوط وأهل سدوم | ١٣٥ |
| البشرى بإسحق .. | ١٤١ |

| الموضوع | الصفحة |
|----------------------|--------|
| إهلاك أهل سدوم | ١٤٧ |
| إبراهيم أبو الأنبياء | ١٥٧ |
| خاتمة | ١٦١ |
| الفهرس | ١٧١ |



صدر للشاعر : يوسف الصديق — قصة شعرية

تحت الطبع : ديوان (همسات السَّحَر)

هذا الكتاب

الإيمان نبع يتدفق بأصدق المعاني وأرق المشاعر .
وقد اتجه الشاعر الموهوب : أحمد نور الدين إلى روافد
الإيمان في قلبه ، ليمتأح منها أعذب العواطف وأرق
الأحاسيس . وكان القرآن الكريم رافده الأول إذ رأى في
قصصه الصادقة مصدر وحي خالص ، لأنها تحمل من
معاني الفداء والتضحية ونبل الرسالة الإنسانية ما يجب أن
يشيع بين الناس ، بلسان شاعر صادق الحس رقيق الخيال
وهذه القضية ذات جو قرآني يسير مع الوحي الكريم آية آية
وموقفا موقفا والشاعر موفق كل التوفيق في اتجاهه الهادف ،
وتعبيره الشفاف ، ومعانيه المؤمنة وخواطره ، ونرجو أن
يتابع هذه السلسلة بما يجعلها ذات رصيد ثمين في المكتبة
الإسلامية ذات التوجيه الأمين .

من تقديم

أ. د. / محمد

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٨٠٨ /

الترقيم الدولي ٥ - ١١ - ١٤٢١ - ٧

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ UN DWFA

Bibliotheca Alexandrina



0268544

مكتبة الإسكندرية